جامعة شيخ أنت جوب بدكار
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القسم العربي

بحث لنيل شهادة ميتريز حول:

الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبي

إعداد :
الطالب إبراهيم صامب

تحت إشراف:
د. مامادو انجاي

السنة الدراسية: 2006/2005

إهـداء:

إلى المرحومين أبي الشيخ صامب

وجدي الحاج محمد الصغير غاي،

إلى أمي الحنون اندي سل غاي ،

إلى خالي الوقور سيدنا غاي

وإلى أستاذي الشريف ممادو انجاي

أهدي هذا العمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

أقدم جزيل الشكر، وأعلى التقدير إلى جميع الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، أخص بالذكر أستاذي المشرف المحترم ممادو انجاي فإني أدين له بالشـــكر والتقدير ؛ فقد منحني من وقته الثمين وعلمه وتوجيهاته ما يصعب على مثلي مكافأته وشكره.

الأســـتاذ عثمان جه ، والأســـتاذ ماغي انجاي وجميع أســـاتذة القســـم العربي بتوجيهاتهم المثمرة.

الأستاذ محمد غاي والأستاذ لباس غاي اللذين مكناني من الحصول على كثير من المصادر التي اعتمدت عليها.

وكذلك جميع أحبائي وأصدقائي الذين مدّوا لي يد العون والمساعدة بنصائحهم الذهبية واقتراحاتهم القيمة.

فهذا العمل المتواضع ما هو إلا ثمرة التعاون العلمي والمعرفي فأقدم إلى كل من ساهم في إنجازه أسمى آيات الشكر والتقدير.

مقدمة

1- في التمهيد:

إن إعادة النظر في الكتابات التاريخية والعلمية وتحليلها عملية مستمرة ومتجددة مع مر العصور والأجيال، وكلما ازدادت الكتابة تعقدا، وشخصية المنتج

تميزا، ازداد اهتمام الباحثين بهما. وعلى هذا الأســـاس عرف تاريخ الأدب العربي رجالا بارزين أثاروا ضـجيجا كبيرا في النقد الأدبي، فاهتم النقاد بهم وبإنتاجاتهم، وبحثوا فيهم طولا وعرضـــا، ومع ذلك لم يتمكنوا أن يحلّـــــوا المشـكلة أو يرووا ظمأ الباحثين في القضـايا المختلفة التي تناولوها. ومن ثم راح الدارســـون الجدد يُجدّدون الكتابة فيها والبحث عن إنتاجات الأدباء للكشف عن أشياء جديدة لم يتطرق إليها الأوائل.

ومن هؤلاء الرجال الفحول أبو الطيب المتنبي (303 هــ- 354 هــ)؛ فقد احتل في التراث الأدبي مكانة ممتازة، وأثار جدلا كبيرا حول شـخصـيته وشـعره دفع النقاد إلى تناولهما والبحث فيهما من كل جانب ، وبالتالي عرف الأدب العربي محاولات لا تحصى كمّا وكيْـــفـًـــا تتناول حياة المتنبي وشعرَه، « وَوُضِـعَتْ دراســات تألفتْ منها مكتبة ضـخمة لا يكاد الأدب العربي يعرف مثيلا لها » ([1])

ويمكن تقسيم هذه الدراسات إلى قسمين أساسيين : القسم الأول حاول الكشف عن معاني شـعره، وشـرح قصـائده ومقطوعاته، ومن هذا القسـم شـروح الديوان التي بلغت خمسـين شـرحا أو أكثر ، أشـهرها: شـرح الواحدي، وابن جني، والأستاذ البرقوقي، وناصيف اليازجي، والعكبري وغيرهم.

أما القسـم الثاني فقد حاول الحكم على الشـاعر وتحليل شـعره، وتناول قضـايا متفرقة تتعلق به وبشـعره كادعائه النبوة، وسـرقاته الأدبية، وزلاته اللغوية والبلاغية إلى جانب محاسـنه وابتكاراته. وقد انقسـم النقاد والأدباء في هذا القسـم بين متعصـبين له يرونه أشـعر الشـعراء، وأقدرهم على نظم الشـعر وابتكار المعاني، ومن هؤلاء أبو العلاء المعري، ومتحاملين عليه لا يرونه

1() يوسف الحناشي، **الرفض ومعانيه في شعر المتنبي**، (طرابلس : الدار العربية للكتابة 1984م)، ص5.

له حسنة ، يتتبعون ما يعتبرونه زلاتٍ له، أو سرقات في شعره ومن هؤلاء الصاحب بن عباد ، وإلى جانب هؤلاء حاول بعض الأدباء التعديل والوساطة كالقاضي الجرجاني الذي كتب كتاب " الوساطة بين المتنبي وخصومه".

لكن رغم هذه الدراسات الكثيرة قليل هم الذين عنوا بدراسة الأغراض الشعرية أو الخصائص الفنية والمعنوية من شعر المتنبي، فلم أر في كلما قرأتُ حوله بحثا أو كتابا يتناول هذا الموضوع بالذات، وقد رأيت أنها مشكلة جوهرية تحتاج لا إلى دراسة واحدة بل إلى دراسات عديدة ودقيقة، وبالتالي اخترت موضوع « **الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبي** » ، وكان أول ما اخترتُ غرض المدح ثم أردت تدقيق البحث ، فكرستها في الموضوع المذكور أعلاه، لأحاول سد الفراغ الموجود في هذا الجانب ، ولأزوّد التراث الأدبي بوريقات حول هذا الجانب الأساسي من شعر المتنبي، وأقدّر كثيرا الجهد الذي بذلته الطالبة **خد انياس** التي تناولت « **سيفيات أبي الطيب المتنبي»** ولكنها أهملت قليلا الجانب الفني منها.

هذا، ومن المعروف أنّ كل إنتاج أدبي يتشكل من جانبين رئيسيين وهما : الشكل والمضمون، أو بعبارة أخرى الألفاظ والمعاني، وقد اخترتُ الخصائص الفنية بدلا من اللفظية لأتناول ما يترتب على الألفاظ من أسلوب وعاطفة وخيال، إلى جانب الخصائص اللفظية، أمّا الخصائص المعنوية فتتناول المضمون لا غير، وكل ذلك اقتصرته على المدائح لأنها تشكل أهم جزء من شعر المتنبي.

2- *إشكالية البحث:*

أمّا إشكالية البحث فتتوقف على عدة تساؤلات ترتبط بقصائد المتنبي المدحية، وبحياته وشخصيته وبيئته وهي:

ما مدى تأثر مدائح المتنبي بحياته وشخصيته وبيئته؟ وما الّذي دفع الشاعر إلى نظمها؟ ومن هم الذين وجّه إليهم هذه القصائد؟ وما هي أساليب مدحه حسب الممدوحين؟ هل اختلفت أم بقيت جامدة لا تتغير؟ وما مدى تأثره بالأساليب الشائعة في العصور السابقة؟ و ما الذي ميزت هذه القصائد عن المدائح الأخرى؟ وما هي ميزاتها الفنية المتعلقة بشكلها ومحتواها؟ فهذه وغيرها هي أهم التساؤلات التي حاولنا الإجابة عنها خلال هذا البحث.

3- منهج البحث وأهم مصادره

اخترت في هذا البحث المنهج التكاملي الجامع بين المنهج الأدبي التحليلي، والمنهج التاريخي؛ لأن مثل هذا البحث ـ فيما أرى- لا يتم إلا بدراسة عميقة، وتحليل دقيق للقصائد بغية استنباط ميزاتها وسماتها التي تميزها عن غيرها، إلى جانب إعادة النظر في شروح الديوان، وكتب كبار الأدباء والنقاد التي تناولت شعر المتنبي.

ومن ناحية أخرى يتطلب هذا البحث دراسة حياة الشاعر وشخصيته «لأن الشعر ما هو إلاّ عبارة عن صورة مصغرة للمؤلف إذ... يحاول الشاعر أن يبلغ بواسطته آراءه من الحياة وخواطره إزاء ملابسات الواقع وتفجعاتها»([1]) فشعر المتنبي مرتبط ارتباطا وثيقا بحياته وشخصيته، وأغلبية قصائده ليست إلا ترجمة لشخصيته المتميزة ولمواقفه في الحياة.

4- خطة البحث

([1]) المصدر نفسه، ص8.

وفي دراستي لهذا الموضوع كرّست الباب الأول منه لدراسة حياة أبي الطيب المتنبي وشعره، منذ صباه إلى كهولته، متتبعا إياه في تنقلاته بين العراق والشام، وفي ظل الأمراء وأرباب السلطان، كما تناولتُ فيه شخصيته من خلال شعره، وثقافته وفلسفته إلى جانب الأغراض الشعرية التي تناولها الشاعر من مدح، ورثاء، وهجاء، وغزل، وفخر، وحكمة وغيرها.

وفي الباب الثاني ، حاولت معالجة قضية المدح في شعر المتنبي لكونه الغرض الذي حصرنا عليه البحث، مبتدئا بدراسة المدح قبل عصر المتنبي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي محاولا الكشف عن مميزاته وتطوراته حسب تلك العصور الأدبية وذلك في الفصل الأول، وفي الفصل الثاني تناولت أسباب ميل المتنبي إلى المدح؛ لماذا تفرع الشاعر للمدح؟ أكان لطلب المعاش كما كان شائعا في ذلك العصر؟ أم لطلب الإمارة والولاية؟ أم لكسب المجد والمعالي؟، وبعد ذلك، درست في الفصل الثالث أشهر من مدحهم محاولا التعرف بهم ، وأسباب تفرغه لهم، وأساليب مدحه عندهم، وقد اخترتُ منهم ثلاثة وهم : سيف الدولة الحمداني، وكافور الإخشيدي، وعضد الدولة البويهي لكونهم أعلى ممد وحيه منصبا، ولمكوث الشاعر عندهم أكثر من غيرهم.

وفي الباب الثالث والأخير تناولت الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبي؛ وقد بدأته بدراسة أسلوب الشاعر إلى جانب العاطفة والخيال في الفصل الأول، وفي الفصل الثاني تناولت الخصائص الفنية من حيث الطبائع اللغوية والبلاغية، وفي الفصل الثالث الخصائص المعنوية التي تتعلق بالمضمون والمحتوى.

هذا، وقد صـــادفت مشـــاكل كثيرة ترتبط بصـــعوبة معرفة الشـــاعر وشـــعره، وصـــعوبة فهم بعض معانيه، وتحليل أشـــعاره، إلى جانب قلة المراجع التي تتناول خصـــائص شـــعره، ولكن مع كل ذلك بذلت قصـــارى ما في جهدي للوصـــول إلى نتائج قد يســـتفيد منها البعض ، وتســـاعد الباحث على معرفة شيء مما تتميز به مدائح المتنبي من خصائص فنية ومعنوية.

الباب الأول:
حياة أبي الطيب المتنبي وشعره

الفصل الأول: نشأة المتنبي وحياته

المبحث الأول: خصائص عصره

نشأ أبو الطيب المتنبي بالكوفة في العصر العباسي الثاني، وكان لهذا العصر خصائصه ومميزاته من الناحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والأدبية.

فمن الناحية السياسية تدهورت الخلافة، وضعفت السلطة المركزية مما أدّى إلى قيام دويلات مستقلة: « فقام بنو بويه في بغداد، والإخشيديون في مصر وسورية، والفاطميون في إفريقية، والأمويون في إسبانية، والقرامطة في البحرين، والديلم في جرجان، والبريدي في البصرة وواسط، والحمدانيون في الموصل وديار بني ربيعة ثم في حلب...» ([1])

وإلى جانب ذلك فسدت السياسة الداخلية فاستولى الأعاجم على مقاليد الحكم يتلاعبون بالحكام، وظهرت الاضطرابات والفتن، ونشبت ثورات كبيرة أشهرها: ثورة الزنج، وثورة القرامطة، والثورة البابكية([2]).

أما من الناحية الاجتماعية فكان الصراع بارزا بين الطبقة الأرسطقراتية وطبقة الفقراء الكادحة؛ فكان الملوك والأمراء والأغنياء في دعة ونعيم يتكاثرون الأموال، ويتطاولون في البنيان، والفقراء إلى جانبهم يعانون من الجوع والفقر ومظالم الحكام، فكان في هذا البون الشاسع ما يغرى بالثورة و التمرد.

ومن جهة أخرى انتشر اللهو والمجون والترف فكان قصور الملوك تنافس أماكن اللهو، وكثرت فيها الجواري المغنيات، وانتشر فيها الخمر والمجون واللعب. وقد كان لكثرة الجواري في هذا الجو أثر في إحياء الغزل وحديث العشق، كما كان لمجالس الخمر دور كبير في نشأة فن الخمريات الذي اشتهر به أبو نواس.([3])

([1]) حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**،(المطبعة البوليسية) ، ص 590.

([2]) راجع طه حسين، **مع المتنبي**، ط11، (مصر: دار المعارف 1976م)، ص30. وشوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني**، ط4،(مصر: دار المعارف1981م) ،ص26 وما بعدها.

([3]) راجع شوقي ضيف، مصدر سابق، ص 82-83.

وانتشرت إلى جانب ذلك الشعوبية والزندقة التي تمثلت في الارتياب بالدين الإسلامي والتشكك في النبوات العامة.([1])

وأما من الناحية الفكرية، فقد ظهر العصر العباسي الثاني كأزهى العصور العربية نضج فكر ورقى عقل، ويرجع ذلك إلى كون البيئة العباسية ملتقى الحضارات، فاحتك العرب بالشعوب الأخرى ، وأثر ذلك في خلق حياة علمية وثقافية ناضجة، كما اهتم العرب بنقل التراث اليوناني والفارسي إلى العربية، فنشطت حركة الترجمة، وانتشرت المكتبات ودكاكين الوراقين التي ساهمت في نشاط الحركة العلمية.

ومن الناحية الأدبية ازدهر الأدب وكثر الأدباء والشعراء في المشرق والمغرب. وكان من أشهرهم أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، وأبو العلاء المعري، وشريف الرضا، ومهياد الديلمي، وابن الفارض، وابن العميد، والصابي، والهمذاني، والحوارزمي، وأبو الفرج الأصفهاني...
وقد مال الأدباء إلى تقليد القدماء، وشاعت الزخرفة اللفظية والسرقات الأدبية، ولكن كان هناك أبواب اهتم بعضهم بتجديدها مثل الشعر الصوفي، والشعر الفخري والحماسي([2]).
وإلى جانب ذلك اهتم اللغويون بوضع قواعد النحو والصرف، والأوزان الشعرية، كما اهتموا بجمع أخبار الأدباء وأشعارهم.

في هذه البيئة المضطربة سياسيا واجتماعيا، والمزدهرة فكريا وأدبيا نشأ رجل ذو عبقرية فذّة وذكاء نادر فملأ الدنيا وشغل الناس، وهو أبو الطيب المتنبي.

([1]) الشعوبية: نزعة فكرية تسعى إلى تفضيل الشعوب القديمة من الفرس والرومان على الشعب العربي وحضارته، كما تصغر من المثل العربية العليا. وقد لعب الأدباء دورا هاما في مواجهة الشعوبية والاحتفاظ بالقيم العربية.

([2]) راجع شوقي ضيف، المصدر نفسه، ص 563.

المبحث الثاني: ولادته وصباه

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي المعروف بالمتنبي، وقد اختلف الرواة في اسم جده الثالث فقيل الحسن بن عبد الصمد وقيل بن مرة بن عبد الجبار ، وقيل غير ذلك([1])، ولكن أكثرهم اتفقوا في تاريخ ميلاده وهو سنة **915م/303هـ** في محلة تسمى **كندة** بالكوفة.

وقد نشأ المتنبي من أصل وضيع، وأسرة فقيرة فترفع عن ذكر نسبه لأنه لا يتشرف بهم، بل هو شرفهم كما قال:

ما بقومي شَـرُفتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخَـرْتُ لا بجُدودِي([2])

وقد احترف أبوه سقاية الماء لأهل المحلة، فعرف بعبدان السقاء، أمّا الصبي فقد اشتهر منذ نعومة أظفاره بذكاء حاد، وفطنة شاذة مما دفع أباه إلى إرساله إلى مدرسة علوية حيث تلقى دراساته الأولى في القراءة والكتابة والعلوم الشرعية والأدبية، فيما يرجح طه حسين([3]). ومن هنا تأثر في المذهب العلوي الشيعي، ونلمح هذا التأثير في قصائده الأولى في صباه.

وإلى جانب ذلك كان يختلف إلى الكتاتيب ودور الوراقين. وقد اتصل بكبار العلماء والأدباء أمثال السكري، ونفطويه ، وابن دستويه وغيرهم. ويذكر بعض الرواة أن المتنبي « *طلب الأدب وعلم العربية ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره، وطاول شعراء وقته*» ([4]).

المبحث الثالث: المتنبي في الشام

([1]) راجع ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت: دار الثقافة (بدون طبعة ولا تاريخ)، ص120.

([2]) ناصيف اليازجي، **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**، مجلدان، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر1984م) ، م1، ص116.

([3]) راجع طه حسين، مصدر سابق، ص35.

([4]) حنا الفاخوري، مصدر سابق، ص590.

وفي نهاية سنة **924م/312هـ** غادر أبو الطيب وأسرته الكوفة إلى بادية السماوة في شمال الشام([1])، ولا نعرف بالتأكيد سبب هجرتهم إليها أكانت للنجاة من غارات القرامطة المتتالية على الكوفة، أم لتحسين ظروفهم السياسية والاجتماعية؟

ومهما يكن من أمر، فقد ارتحل إلى الشام حيث مكث سنتين، وفي هذه الرحلة الأولى إلى البادية، تمكن من معرفة العربية الأصيلة بواسطة اختلاطه بقبيلة بني كلب التي كانت محتفظة بلغتها العربية الأصيلة لم يختلط بها لحن، ولم يتطرق إليها فساد([2]) ولعلّ المتنبي أخذ هناك ملكته العربية، ومن المرجّح انه اتصل في الشام بدعاة القرامطة فتأثر منهم وإن لم يكن تأثيرهم بعيد المدى في هذه الفترة لحداثة سنه. ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه دعا إلى الثورة في الشام، ولكن أغلب ظننا أن هذه الثورة لم تتم في هذه الرحلة الأولى لأن عمره إذ ذاك لم تكن تتجاوز اثنتي عشرة سنة، ويذهب حنا الفاخوري إلى أنه رجع إلى الكوفة بعد مرور سنتين في سنة **927م/315هـ**([3]).

بعد رجوع المتنبي إلى الكوفة عكف على الشعر، وقلّد القدماء أمثال أبي تمام والبحتري في شعره. وفي هذه الفترة اتصل بأبي الفضل وكان فيلسوفا فمدحه بقصائد نلمح فيها التأثير الفلسفي.

وفي أواخر سنة **928م/316هـ** قصد بغداد وهناك مدح أحد العلويين، وهو محمد بن عبيد الله العلوي بقصيدة مطلعها:

أهلا بدار سباك أغيدها أبعد ما بان منك خردها([4])

([1]) Voir *Encyclopédie de l'Islam* . Th. Houtsma ; Q.J.Wensink…Tome 3 ; Paris Librairie C. Kuncksieck 1936 ; p 835.

([2]) راجع إبراهيم علي أبو خشب، **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني** (: دار الفكر العربي، 1975م (بدون طبعة)، ص272.

([3]) حنا الفاخوري، مصدر سابق، ص598.

([4]) راجع **العرف الطيب**، م1، مصدر سابق، ص96 وما بعدها.

وبعد ذلك ارتحل عن العراق ربما لأنه لم يكن آمنا فيها، أو لأنه لم يتمكن تحقيق ما كان يريده لنفسه من السيادة وعلو المنزلة، وعاد إلى الشام مرة ثانية يتقلب بين باديتها وحاضرتها طالبا الثروة والمجد، يمدح رجالا من أوساط الناس وأمرائهم « ويبلغ عدد الذين تقرب إليهم في تلك الأثناء **اثنين وثلاثين** رجلا مدحهم **بأربع وأربعين** قصيدة» ([1]).

وفي هذه الفترة بدأت منزلته في الشعر تعلو، وشهرته تنتشر، وراح الأمراء يطلبونه لبلاطهم، ويستعلون بمدائحه. فتنقل ما بين الرملة وطرابلس وأنطاكية.

ويذهب حنا الفاخوري إلى أن المتنبي ذهب إلى اللاذقية في أواخر سنة **933م/321هـ** حيث اتصل ببعض القرامطة وتأثر منهم، ومن ثم هاجت أفكاره الثورية([2])، وأصبح داعيا من دعاة القرامطة، ودعا بني كلب إلى الثورة في بادية السماوة فتبعته جماعة منهم، ولكن هذه الثورة لم تكن بعيدة المدى لأن أبا لؤلؤ، أمير حمص، كبح جماح الثائرين، وقبض على المتنبي، وزج به في السجن لمدة سنتين.

وقد اختلف المؤرخون في سبب سجنه فذهب البعض إلى أنه سجن لأن الأعراب رغبوا في جعله أميرا لهم، وقال غيرهم سجن لأنه ادّعى النبوة ، وهناك آخرون رأوا أنه سجن مرتين الأولى للشغب على الخلافة والثانية لادعائه النبوّة([3]).

ومما لا شك فيه أنه سجن فلاقى في السجن مرارة العيش وضيق الحياة، ثم كتب إلى الوالي يستنقذه منه في قصيدة مطلعها:

أيا خدود الله ورد الخدود وقد قـدود الحسان القـدود([4])

وحيث يقول:

([1]) حنا الفاخوري، **الجديد في الأدب العربي**، (بيروت: مكتبة منشورات المدرسة 1964م)، ج5، ص394.

([2]) راجع حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، مصدر سابق، ص599.

([3]) راجع إبراهيم علي أبو خشب، مصدر سابق، ص 273.

([4]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص161- 164.

دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البـــلاء وأوهــن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود([1])

وبعد ذلك أطلق الأمير سراحه بعد ما تاب وندم على فعل. وفي إثر هذه المحنة أخذ لقب **المتنبي**، ولكن المؤرخين اختلفوا في مصدر هذا اللقب، ويرجح أكثرهم ادعاءه النبوة في البادية.

* ادعاؤه النبوة:

يذهب ابن خلكان في " وفيات الأعيان" ، وناصيف اليازجي في "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب"([2]) إلى أن المتنبي ادعى النبوّة في بادية السماوة، وهذا رأي يؤيده كثير من المؤرخين إذا علمنا أن المتنبي تأثر في هذه الفترة من القرامطة الذين كانوا يزعمون دعاتهم أنبياء، ولعلّ المتنبي زعم نفسه نبيا عند ما صار داعيا من دعاتهم. أضف إلى ذلك البيئة العباسية التي كانت تفتح المجال لكل الدعاوي والثورات للوصول إلى الرفعة والسيادة، وخاصة مع رجل طموح كالمتنبي.

ولكن الديوان لا يترك لنا شيئا أكيدا يمكن أن نستدل به لإثبات هذا التنبؤ اللهم إلاّ أبياتا نجد الصعوبة في إظهار تلميحها بذلك، إذا عرفنا شدة مبالغات المتنبي في قصائده وكبريائه الشديد. ومما يذكر المؤرخون قوله في صباه:

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهـــود

إلى أن قال :

أنا في أمة تداركها اللـــ ـه غريب كصالح في ثمود([3])

([1]) المصدر نفسه، براني: هزلني وأنحلني؛ أوهن: أضعف.
([2]) راجع "وفيات الأعيان..."، مصدر سابق، ص 122؛ و" العرف الطيب..."، مصدر سابق، ص5.
([3]) العرف الطيب، مصدر سابق، ص112- 116.

وإني أرجح أن هذه التشبيهات لا تعرض إلا بنفسه الطامحة ، وكبريائه الشديد، ولا ينبغي أن نستدل على مقارنات غامضة لإلقاء تهمة كبيرة كادعاء النبوة على شاعر كالمتنبي.

وإنه وإن كان قد ادعى النبوة، فأغلب ظننا، أنها نبوّة ليس مرجعها إلى الدين، ولكنه إلى ملكته الشعرية واللغوية، ألم يقل في القصيدة نفسها:

أنا ترب الندى ورب القوافي وسِمَامُ العِدَى وغيْظُ الحسود([1])

كما قال في شعره في قصيدة أخرى :

إنَّ هذا الشعرَ في الشعر ملك صارَ فهو الشمس والدنيا فلك([2])

وفي ذلك يقول بروكلمان:« *ولعل المتنبي انتهى وهو في غبابة السجن إلى الاقتناع برسالته الحقيقية، وهي أن تكون شاعرا مطبوعا*». ([3])

فهو يرى أن هذه النبوة – إن صح أن تدعى نبوة- ترجع إلى موهبته في نظم الشعر. ويؤكد ذلك ما رواه ابن خلكان في أن المتنبي قال: أنا أول من تنبأ بالشعر.

ومهما يكن من أمر ، وسواء ادعى النبوة أو لم يدعيه فإنه خرج من المحنة مع هذا اللقب الذي اشتهر به إلى أيامنا هذه.

وبعد هذه الفترة السوداء من تاريخه، واصل المتنبي تنقلاته في الشام غير بائس، وعاد إلى المدح يمدح الملوك والأمراء.

المبحث الرابع: المتنبي في ظل الأمراء وأرباب السلطان

([1]) المصدر نفسه، ص116.

([2]) المصدر نفسه، م2، ص137.

([3]) كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ط3، (مصر: دار المعارف 1974م)، ج3، ص82.

لقد لعبت كثرة الدويلات في العصر العباسي الثاني دورا هاما في توطيد علاقة الشعراء بالملوك والأمراء؛ فكان لكل أمير شاعر أو شعراء يمدحونه ويذكرون أمجاده وانتصاراته، ويعلونه على نظرائه في جو مملوء بالتنافس.

أما المتنبي، فقد كان لطموحه الشديد ما يغريه بالاتصال بالأمراء لتحقيق آماله، أضف إلى ذلك موهبته في الشعر التي أغرت الملوك به ورغبتهم في مدائحه، والاستعلاء بها في بلاطاتهم. وهكذا اتصل المتنبي بكثير منهم أشهرهم : بدر ين عمار، وسيف الدولة الحمداني، وكافور الإخشيدي، وعضد الدولة بن بويه...

1) عند بدر بن عمار(939-941 م / 328-330 هـ)

انتهى المتنبي في تنقلاته إلى الأوارجي أبي علي هارون بن عبد العزيز، وكان من المتصوفة فمدحه بقصيدتين نلمح فيهما التأثير الصوفي وبراعة الشاعر، ولكن الأوارجي لم يكن مقصد المتنبي، بل اتخذه وسيلة للوصول إلى مولاه بدر بن عمار. وقد نجح في ذلك فمكث حينا عند الأوارجي ثم اتصل بواسطته بمولاه بدر بن عمار وهو عربي تولى ولاية طبرية بعد سقوط الإخشيديين في الشام سنة **328** هـ.

فرح المتنبي فرحا شديدا باتصاله ببدر، فرجع إليه آماله لأنه « لقي فيه ضالته المنشودة من كرم ورجولة ومجد وقومية»،([1]) فمدحه بدالية مشهورة مطلعها:

أحلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق في شخص حي أعيدا([2])

ففي هذا البيت ما يلمح إلى رجاء الشاعر الكبير ، وبهجته الشديدة كأنه عرف طورا جديدا من حياته، طورا لا يكاد يصدقه ، فهو إما "حلم أم زمان جديد" غير الذي كان يعيشه، أم الله جمع الورى مع اختلاف قدراتهم وكفاءاتهم وميولهم في شخص واحد ، وهو ممدوحه بدر بن عمار، فهذا الفرح الشديد شغل الشاعر عن المقدمة الغزلية التي كان يستهل بها قصائده، في هذه الفترة

([1]) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص600.
([2]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص280.

كأنه كان يريد أن يرضي الأمير بسرعة فائقة، ولا يريد أن يدع له مجالا للتفكير([1]).

ومهما يكن من شيء فقد حظي الشاعر برضا بدر « *فأخلص في حب المتنبي وإيثاره بالخير واصطفائه لنفسه حتى ألغى الحجاب بينه وبينه، واستطاع المتنبي أن يدخل عليه وقد حجب نفسه*».([2])

ولكن لسوء الحظ، لم يدم المتنبي عند بدر زمنا طويلا، فقد هاجت مكانته عنده حسد الحساد، وأدخلت الضغينة في قلوب خصومه فشرعوا في الوشي به عند الأمير ، وذمه فيما كان يقول من شعر، وفي ذلك يقول ردا عليهم:

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومـــن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فــم مُرٍّ مريــضٍ يجد مـــرّا به الماء الزلالا ([3])

ولكن ذلك لم يكن مما يقطع الطريق عن خصومه وأعدائه، فقد انتهزوا فرصة عدم سفر الشاعر مع الأمير بدر عندما زاده ابن رائق بعض الأقاليم في عمله، ليفسدوا علاقاته بالأمير، ومن ثـَمَّ غضب بدر على المتنبي و أعرض عنه، ثم ضاقت على الشاعر حياة القصر والبلاط، وعزم الرحيل عن بدر.

فرّ المتنبي من بدر ، ونزل على صديقه أبي الحسن علي بن أحمد الخراساني .
وبعد ذلك عاد إلى تنقلاته ما بين سنة **941-947 م**، وفي هذه الفترة ماتت جدته فرثاها بقصيدة نلمح فيها أفكار الثورة والنزعة القرمطية. وأولها:

ألا لا أُري الأحداث مدحًا ولا ذمّا فمَا بطشُها جَهلاً ولا كـفها حِلمَا([4])

([1]) راجع مع المتنبي، مصدر سابق، ص124- 126.
([2]) المصدر نفسه، ص136؛ وقد نقله عن الواحدي ص238.
([3]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص293.
([4]) المصدر نفسه، ص343.

وفي سنة **329 هـ** خرج ابن رائق وبدر من الشام وعادا إلى العراق ، ومن ثمّ تمكن الإخشيد استرجاع الشام، فوجد المتنبي في ذلك متنفسا للخروج، ومحاولة التقرب من الإخشيديين، و في أوائل سنة **335** هـ ([1]) وصل إلى الأمير محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج في الرملة ومدحه، ثم استأذنه للعودة إلى شمال الشام فأذن له، فارتحل عنه وانتهى إلى أبي العشائر، وبعده إلى سيف الدولة الحمداني.

2) **عند سيف الدولة الحمداني (948-957 م/ 337- 346 هـ)**

التقى المتنبي بسيف الدولة عند أبي العشائر في أنطاكية فأعجب به، وأراده الأمير لنفسه، فمدحه المتنبي، ثم انتقل معه إلى حلب سنة **948 م/ 337 هـ.**

مكث المتنبي عند سيف الدولة **تسع سنوات،** كان فيها شاعره الرسمي يمدحه في كل مناسبة، ويرافقه في غزواته وحروبه. وتعتبر هذه الفترة أخصب حقبة من حياة الشاعر لأنه وجد سيف الدولة رجلا عربيا أبيا متصفا بصفات الرجولة والكرامة والمجد، ومناضلا كبيرا، ومدافعا عن الأراضي العربية الإسلامية ضد غارات الرومان، فكان ملائما لما كان ينشده المتنبي ، ومن ثم كرّس له تسع سنوات لم يمدح فيها غيره حتى أصبح له في الأمير، فيما يقول طه حسين، « *ديوانا خاصا يمكن أن يستقل بنفسه، وهو إن جمع في سفر مستقل من أجمل شعر المتنبي وأروعه وأحقه بالبقاء، بل من أجمل الشعر العربي كله وأروعه وأحقه بالبقاء*».([2])

هذا ولم يكن حياة المتنبي في البلاط خيرا كلها، بل كانت لمكانته الممتازة عند الأمير،([3]) ولكبريائه الشديد أكبر أثر في إغراء الحسود به، وإدخال الضغينة

([1]) راجع مع المتنبي، مصدر سابق، ص150.
([2]) المصدر نفسه، ص169.
([3]) قبل له الأمير أن لا يقبل الأرض، وأن يمدحه جالسا، وكان يعطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار بثلاث قصائد ما عدا الهدايا والخلع...

في قلوب حاشية الأمير، فراحت تؤلب عليه وترميه بالوشايات ، فكان المتنبي مضطرا إلى الدفاع عن نفسه بالهجوم مرة كما قال في لاميته:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطـــاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل([1])

وباستعطاف الأمير مرة، ومن ذلك ما قال في داليته المشهورة:

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهـــم لـــي حسدا
إذا شد زندي حسن رأيك فيهم ضربت بسيف يضرب الهام مغمدا([2])

وبالافتخار بنفسه وبشعره مرات، وفي ذلك يقول:

وما الدهـر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار بـــه مـــن لا يسير مشمـــرا وغنى بـه مـــن لا يغني مغـــردا
أجزني إذا أنشدت شعـرا فإنـــما بشعري أتـــاك المادحون مـرددا
ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والآخـر الصدى([3])

ولكن لم يكن ذلك كله مما يقطع الطريق عن الوشاة والأعداء، بل هيّج حسدهم فلم يزالوا يكيدون له حتى أعرض عنه سيف الدولة فعاتبه المتنبي أول الأمر بميميته الرائعة التي مطلعها:

واحر قلباه ممـــن قلبه شبـــم ومَنْ بجسمـي وقلبي عنـده سقـم([4])

ثم اعتذر منه المتنبي وتاب بقصيدة أخرى أولها:

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السيوف مضاربا([5])

وحيث يقول:

وإن كان ذنبي كـــل ذنب فإنّه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا([6])

([1]) العرف الطيب، م2، ص191.
([2]) راجع المصدر نفسه، ص179- 185.
([3]) المصدر نفسه، ص184– ص185.
([4]) المصدر نفسه، ص118.
([5]) المصدر نفسه، ص127.
([6]) المصدر نفسه، ص128.

وبعد ذلك عفا عنه سيف الدولة، وطمْـأنَـه من خصومه، ولكن هذا التواجد السلمي بينه وبين خصومه لم يدم وقتا طويلا. فقد أردف الخصوم مكائدهم له عندما أفرط الشاعر في الازدراء بهم، وحسن الظن بنفسه، فنغص له ذلك حياة القصر، وانتهى الأمر إلى القطيعة في حادثـته مع ابن خالويه النحوي الذي شج رأس المتنبي بمفتاح كان في يده عبر مناظرة بينهما بمحضر الأمير سيف الدولة، فخرج الشاعر مغاضبا واستعد للرحيل من حلب إلى مملكة الإخشيديين.

ومن هنا انتهت هذه الحقبة الباهرة من حياة المتنبي، والتي وجد فيها الشاعر ضالته المنشودة في رجل متسم بصفات الرجولة العربية من كرم وشجاعة ومجد، فرافقه أحسن مرافقة ومدحه بأحسن قصائده حتى أصبح اسمه ملصقا باسمه، وساهم كل واحد منهما في إعلاء صاحبه وتخليده، ونقشه بكلمات ذهبية في صفحات التاريخ.

3) عند كافور الإخشيدي (957- 962 م/ 346- 350 هـ)

قصد المتنبي كافورا بعد ما خرج من حلب، وانتهى إليه سنة **957 م/ 346هـ.** ويقول بعض الرواة انه مرّ بدمشق، ثم بالرملة، فسمع كافور أخباره وطلبه من وَالِي الرملة.

ومهما يكن من شيء فقد انقطع المتنبي لكافور بعد مفارقة سيف الدولة، ولعل ذلك ليحقق طموحاته وآماله، وليجد ولاية يحكمها بنفسه، وذلك ما يصرح به في أول قصيدة قالها عند كافور، والتي أولها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا([1])

وحيث يقول يخاطب كافورا:

([1]) العرف الطيب..، م2، مصدر سابق، ص294 – ص302.

إذا كسب الناسي المعالــي بالندى فإنك تعطي في نداك المعاليا
وغير كثيــر أن يزورك راجـــل ويرجع ملكا للعــراقين والـيا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء عافيا([1])

وقد استقبل كافور المتنبي بكل حفاوة وخلع عليه، ووعده بالولاية التي كان يتمناها، ثم راح الشاعر يمدحه في المناسبات يمجده لا لأنه يحبه، أو لأنه رأى فيه ما كان يرى في سيف الدولة من صفات الرجولة الحقيقية، بل يمدحه لأنه يريد أن يحقق له مقاصده، فكان مدحه غير خالص وإن كان رائعا من الناحية الفنية.

وكأن كافورا بذكائه ودهائه كان يعرف ما كان الشاعر يكنّه في نفسه فخيب أمله. ويرى ابن خلكان أن كافورا خان المتنبي لمّا رأى تعاليه في شعره وسموه في نفسه، فلما عوتب فيه: قال: «*يا قوم من ادّعى النبوة بعد محمد* (ص) *أما يدعي المملكة مع كافور*».([2])

ولعلّ كافورا كان يخاف أن يخدعه المتنبي، فخيب هو رجاءه. وبعد ذلك مكث المتنبي في مصر حزينا كئيبا لم يبلغ غاية أمله يعيش مع أمير لا يحبه، فشرع يشتكي في قصائده ويندم مفارقة سيف الدولة في غناء حزين يستهل به قصائده. فاستمع إليه وهو يصف حالته في ميميته المشهورة:

أقمت بأرض مصر فلا ورائي تخب بي الركاب ولا أمامي
وملني الفــراش وكـــان جنبي يمل لقاءه فـــي كـــل عــام
قليل عائــدي سقـــم فـــؤادي كثير حاسدي صعب مرامي([3])

([1]) المصدر نفسه.
([2]) وفيات الأعيان، مصدر سابق، ص122.
([3]) العرف الطيب، م2، مصدر سابق، ص359- 364. القصيدة قالها في وصف الحمى في ذي الحجة 348هـ/ 959م ومطلعها:
ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وهكذا كان المتنبي يعيش في مصر حبيسا، أو كالحبيس ليس له بصيص أمل في تحقيق مطامعه، ثم التقى بأبي شجاع فاتك فأهداه هدايا كثيرة، فاستأذن المتنبي كافورا في مدحه فأذن له فمدحه، ولكن أبا شجاع مات بعد ذلك بأشهر في سنة **350هـ /961 م**، ثم رثاه المتنبي بعد خروجه من مصر. وقد وصل ملل الشاعر وسآمته من مصر أقصاها، فاستعد للرحيل عنها خفية. وفي كانون الثاني من سنة **962 م (ذي الحجة 350 هـ)** سنحت الفرصة بمناسبة عيد الأضحى فهرب الشاعر من مصر، وهجا أميرها هجاء لاذعا مرا يصرح فيه ما كان يخفيه له في ضميره من الغضب والازدراء في دالية مطلعها:

عيـدٌ بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ   بمَا مَضَى أو لأمْرٍ فيكَ تجديدُ([1])

4) عند عضد الدولة البويهي

بعد كافور قصد المتنبي العراق يتنقل بين كوفة وبغداد، وفي هذه الفترة وصلته هدايا سيف الدولة فمدحه، ثم توفيت أختها فرثاها ببائيته التي أولها:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب   كناية بهما عن أشرف النسب([2])

وبعد ذلك قصد أرجان إلى ابن العميد ، وهناك طلبه عضد الدولة البويهي، ومن ثم ودّع ابن العميد وانتهى إلى عضد الدولة ومدحه بست قصائد في ثلاثة الأشهر التي مكثها عنده. وتدل هذه القصائد على براعته الفنية، إذ استرد الشاعر حريته وملكاته وأمله عند السلطان، ولكن الشاعر مع ذلك آثر العودة إلى العراق لسبب نجهله، وودعه بقصيدة هي آخر ما نظمه حسب ما يروي الديوان، ومطلعها:

فدا لك من يقتصر عند مداك   فــلا مـــلك إذا إلا فـــداك([3])

المبحث الخامس: مقتله

([1]) المصدر نفسه، ص396.

([2]) المصدر نفسه، ص280.

([3]) المصدر نفسه، ص491 وما بعدها.

رجع المتنبي إلى أرجان ثم قصد الكوفة ، وانتهى إلى واسط في شهر رمضان من سنة **354هـ / 965** م ، وفي طريقه إلى الكوفة عرض له **فاتك الأسدي** ، خال ضبة القرمطي الذي هجاه المتنبي من قبل في جماعة، وكان الشاعر مع ابنه وغلمانه فتقاتل الفريقان، ثم قتل أبو الطيب المتنبي، وابنه محسد، وغلامه في موضع يقال له الصافية عند **دير العاقول**([1]) بعد حياة مليئة بالنشاط والمحن، فرثاه أبو القاسم مظفر بن علي الطوسي بنونيته المشهورة التي يقول فيها:

لا رعى الله صرف هذا الزمان إذ دهـــانا بمثل ذاك اللسان
كان في نفسه الكبيرة في جيـ ش وفي كبريائه في سلطان
ما رأى النـــاس ثاني المتنبي أي ثان يرى لبكـــر الزمان
هـــو في شعره نبـــي ولكن ظهرت معجزاته في المعاني([2])

الفصل الثاني: شخصية المتنبي وفلسفته في الحياة

المبحث الأول: في شخصيته

يعتبر شعر المتنبي أصدق ترجمة لشخصيته وأفكاره، فقد ظهرت فيه أخلاقه وصفاته جليا، وكلما يتصف به الشاعر من أنفة وكبرياء وشجاعة وكرامة وما إلى ذلك، كما تجلت فيه فلسفته في الحياة، وهي فلسفة تعظم القوة وتمس أكثر جوانب الحياة تقريبا، وتطغى عليها ذم الدهر، والعزة والكرامة، إلى جانب نظرات متناثرة في الموت و الحياة...

([1]) راجع وفيات الأعيان، مصدر سابق، ص123.
([2]) ذكره ناصيف اليازجي، العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص500.

1- أنفته وكبرياؤه

لعل من أبرز ما تتسم به شخصية أبي الطيب المتنبي الأنفة والكبرياء؛ فهو مغرور متعال على الناس لا يرى لنفسه ندّا ولا مثيلا، كما قال في شبابه:

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه   فلا أحد فوقي ولا أحد مثلي([1])

ولربما دفعته هذه الأنفة إلى التنقل إلى البلدان ليجد تلك الأرض التي يمكن أن تتسع له، تلك الأرض التي يكون فيها عزيزا كريما، ماجدا، كما قال:

تغرب لا مستعظما غير نفسه   ولا قـــابلا إلا لخالقـــه حكـــــما

ولا سالكا إلا فـؤاد عجاجـــة   ولا واجــــدا إلاّ لمكـــرمة طعما

يقولون لي ما أنت في كل بلدة   وما تبتغي، ما أبتغي جلّ أن يسمى([2])

وإنه رغم كونه شاعرا يدقّ أبوابَ السلاطين ويمدحهم فيخلعون عليه، لم يقبل مرة أن يكون ذليلا أمامهم، بل وضع لأكثرهم شروطا قبل الانقطاع لهم؛ فاشترط لسيف الدولة أن لا يقبّل الأرض، وأن لا يمدحه إلا جالسا، واشترط لكافور أن يدخل عليه ومعه سيفه فقبلا له ذلك كله، فكان إذا مدح قسم القصيدة إلى قسمين قسم لممدوحه، وقسم آخر له يفتخر به، ويستعلي على من سواه. فما رأيك فيمن يقول في مجلس فيه سيف الدولة ممدوحه:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا   بأنـّـنِـي خيـرُ مَــنْ تسعــى له قــدم

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم([3])

ولسوء الحظ، نشأ المتنبي من أسرة وضيعة، فلم يفتخر بنسبه كما فعل الشعراء قبله، بل جعل نفسه شرف قبيلته، وافتخر بنفسه لا بأجداده، كما قال:

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبـنفسي افتخـرت لا بجـدودي([4])

([1]) المصدر نفسه، م1، ص105.

([2]) المصدر نفسه، ص346.

([3]) راجع المصدر نفسه ، م2، مصدر سابق، ص118 – 123

([4]) المصدر نفسه، م1، ص116.

وقال في رثاء جدته:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما([1])

وكان الشاعر ذا نفس أبيّة، يأبى إلاّ أن يعيش عيشة الأعزاء الكرماء، كما أشار إلى ذلك حين قال:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بـَيـْن طعْـن القـنا وخـفـق البنـود

إلى أن قال:

فاطلب العز في لظى، وذر الذ لّ ولــو كَـان فِـي جنان الخُـلود([2])

فهو يفضل العيش عزيزا في النار على ذل في الجنة، ومن ثم يفضل الموت على حياة يكون فيها مهانا ذليلا. وفي ذلك يقول في ميميته المشهورة:

ذل مــن يغبـطُ الذلِـيـلَ بـعَيـشٍ ربّ عَـيْـش أخَـفّ مِنــه الحَـمَام

إلى أن قال:

مَنْ يهـنْ يسْـهلُ الهَـوَانُ عَلـيْه مَـــــا لجـــــرح بمَـيـِّتٍ إيـلامُ([3])

وعلى هذا الأساس قال أحمد محرم يصف المتنبي بمناسبة ذكرى ألف عام من وفاته:

لم ترضَ يومًا في حياتكَ موقِفًا يعلوه في الدنيا لغيرك موقفُ

كنتَ العزيز الحــر يكرم نفسَـهُ ويعــافُ منزلة الذليل ويأنفُ([4])

ولعل ذلك هو الذي حمّل المتنبي السلاح، فخاض ثورة ضدّ السلطة الجائرة في شبابه، ولعل ذلك أيضا هو الذي دفعه إلى مرافقة الأمراء وأرباب السلطان في غزواتهم، لأنه كان يرى أن:

([1]) المصدر نفسه، ص346.

([2]) المصدر نفسه، ص115.

([3]) المصدر نفسه، ص327.

([4]) راجع **أبو الطيب المتنبي حياته وشعره**، محمد حسين هيكل وآخرون، (بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر)، ص16- 17.

لا افتخارٌ إلاّ لمَـنْ لا يضام مُـدرك أو محارب لا يَـنامُ ([1])

ولعله ترفع عن الملاهي والملذات، وانصرف عن الخمر لأن المجد ليس من ذلك في شيء، كما قال:

فلا تحسبن المجد زقــا وقينـة فما المجد إلاّ السيف والفتكة البكر([2])

ولعله كان مما حدّد عنجهية الشاعر عبقريته اللغوية والشعرية، والتي جعلته يزدري بالشعراء ويحتقر بهم، ويرى شعره ملك الأشعار، وشمسا في عالم الدنيا فيه فلك، كما قال:

إن هذا الشعر في الشعر ملك صار فهو الشمس والدنيا فلك([3])

ويدخل في هذه الوتيرة ما قاله في قصيدة يمدح فيها سيف الدولة الحمداني:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شوا ردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم([4])

ومن ذلك ما قال في داليته المشهورة التي مدح بها سيف الدولة:

وما الدهـر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

أجــزني إذا أنشدت شعــرا فإنما بشعــري أتــاك المادحون مرددا

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى([5])

ومن هنا نرى أن كبرياء الشاعر وغروره جاوزا المدى، فكلفه ذلك خصوما وأعداء ألدّة نغصوا عليه الحياة عند بدر، ثم عند سيف الدولة وغيرهما. فكان الأمر كما قال أحد النقاد:« *كان أبو الطيب كالملك الجبار، يأخذ ما حوله قهرا*

([1]) العرف الطيب...، م1، مصدر سابق، ص326.
([2]) المصدر نفسه، ص370.
([3]) المصدر نفسه، م2، ص137.
([4]) المصدر نفسه، ص120.
([5]) المصدر نفسه، ص184 - ص185.

وعنوة، وكالشجاع الجريء يهاجم من يريد ولا يبالي ما لقي ولا حيث وقع».([1])

2- طموحه واعتداده بنفسه:

كان أبو الطيب المتنبي طموحا إلى أقصى غاية الكلمة يود من الدنيا أن تبلغه منزلة لا تبلغها هي بنفسها، كما قال:

أريدُ مِن زمَنِي ذا أنْ يبلغنِي ما ليسَ يبلغه مِن نفسهِ الزمَنُ([2])

فلم يكن ذلك الشاعر الذي يمدح الملوك والأمراء فيغدقون عليه العطايا والخلع ويكتفي بذلك، بل كان يتوق إلى الحكم، وإلى ولاية ليحكم مثلهم، وربّما ليُمدحَ كما يمدحهم، ألم يقل في كافور:

وغير كثير أن يزورك راجلٌ ويرجع ملكا للعِراقين والِيا([3])

وقال في قصيدة أخرى في مدح كافور:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين وتشربُ
وهبتَ على مقدار كَفيْ زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلبُ([4])

فكان مقصد المتنبي عندما انقطع لكافور أن يفوض إليه ولاية يحكمها، ويصبح أميرا من الأمراء. وهذه الهمة العالية فلسفة كبيرة يعتقد بها الشاعر ولا يكاد يجحد بها مرة في حياته، ألم يقل في شبابه:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر صغير كطعم الموت في أمر عظيم([5])

([1]) ذكر في **نوابغ العرب**، " أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف"، عز الدين إسماعيل، وآخرون (بيروت: دار العودة)، ص29.
([2]) العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص343.
([3]) المصدر نفسه، ص299.
([4]) المصدر نفسه، ص338. ناط به أمر كذا: فوّضه إليه.
([5]) المصدر نفسه، م1، ص434.

وعلى هذا الأساس سعى إلى إعلاء شأنه، وضحّى بحياته، وتحمل المصاعب والمشقات غير بائس ولا يائس في سبيل تحقيق آماله ومقاصده من الرفعة والعزة، كما قال:

ومراد النفس أصغر من أن تتعادى فيه وأن تتفانى
غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات، ولا يلاقي الهوانا
ولو أن الحياة تبقى لِحَيّ لعَدَدْنا أضلَّنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا([1])

وكان المتنبي يعلم "أن لا بد قبل الشهد من إبر النحل"، فتحمل نائبات الدهر غير يائس ولا خائف لأنه كان يعتقد أن يوما سيحقق آماله، ويبلغ ما يتوق إليه من المجد والرفعة، كما قال في هذا الصدد:

والدهر يعجب من حملي نوائبه وصبر نفسي على أحداثه الحطم([2])

وقال أيضا:

تمرستُ في الآفاق حتّى تَرَكْتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ المَوْتُ أَمْ ذعَر الذعرُ
وأقدمتُ إقدام الأتيّ، كأنّ لِي
سوى مهجتي، أو كان لي عندها وترُ! ([3])

وكأن الحياة رغم هذه المجهودات الجبارة التي بذلها الشاعر لا تريد أن تلتفت إليه فترضيه أو تروي ظمأه، لأنها إمّا لا تبلغ مطامع الشاعر كما سبق أن قال:

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن([4])

أو لأنها لا تودّ ما يودّه الشاعر كما قال:

([1]) المصدر نفسه، م2، ص347.
([2]) المصدر نفسه، ص385.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص369.
([4]) المصدر نفسه، م2، ص343.

أودّ مِـنَ الأيَـــام مَـــا لا تَـوَدّهُ وأشكـُـو إليهَا بيننا وهي جنده[1]

فلا يكاد يجيء له دعة إلاّ من ورائه نازلة تأتي لتفسدها، وأدى به ذلك أن يصبح متشائما، يذم الدهر وأهله، و يبسط فلسفة للقوة فيها مكانة ممتازة.

المبحث الثاني: في فلسفته في الحياة

ليس المتنبي من هؤلاء الفلاسفة الذين جعلوا من الفلسفة مجال اختصاصهم، وأسسوا مذاهب فلسفية اشتهروا بها، وإنما هو - إن جاز التعبير- شاعر يتفلسف؛ يتأمل الإنسان في حياته ويأتي بخواطر تحكمه في طبيعته وتصرفاته، وترسم نظرية في طبيعة الإنسان بصفة خاصة ، وفي الحياة بصفة عامة.

ولعل فلسفة الشاعر قد نبعت من تجربة واسعة أتت من أسفاره وآلامه وثقافته الواسعة. وقد يذهب بعض النقاد إلى أنه أخذ فلسفته من نظريات فلاسفة اليونان أمثال أرسطو، ولكن المرجح أن فلسفة الشاعر جاءت من تجربته في الحياة، فظهرت ترجمة لنفسه الطامحة وإخفاقه في الحياة، وفي ذلك يقول حنا الفاخوري:« *إن فلسفة المتنبي على الإجمال فلسفة الأمل الطامح المؤمن بالقوة، والأمل الخائب المثقل بالنقمة والثورة والتشاؤم*».[2]

فقد تبنى الشاعر فلسفة القوة في كل شيء، وجاءت فلسفته متناثرة في قصائده تتناول موضوعات مختلفة أشهرها:

1- ذم الدهر والناس

فالمتنبي بتأملاته في الحياة، كان يرى أن الدهر لا يناصر الإنسان في تحقيق آماله، وبلوغ المنزلة الرفيعة التي يتوق إليها، بل بالعكس يشكّل عرقلة أمامه يأبى إلا أن يخيب رجاءه، وينغص عليه الحياة، وفي ذلك يقول المتنبي:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وَعَـناهُـــمْ مِـن أمْـره مَـا عَـنانـَـا[3]

([1]) المصدر نفسه، ص313.

([2]) حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، مصدر سابق، ص625.

([3]) عناه الأمر: أهمه

وتولوا بغُصّـــةٍ كـــلهُم منــ ـــهُ وإنْ سَـــرّ بعضَهـــم أحيـــانَـا[1]
ربّــما تـُحْسِن الصنيعَ ليَاليـ ـــهِ ولكـــن تـُكَـدر الإحســـانَـا

إلى أن قال:

كلمَا أنبتَ الزمـــانُ قـَـنـَاةً ركبَ المَـرء في القناةِ سـنـانـَا[2]

مما يدل علىأنّ الحياة ليست نعمة كلها، وإنما هي تناوب بين العسر واليسر، وبين الحزن والفرح، كما قال الشاعر:

هي الأيام كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمان

ولم تتوقف نقمة الشاعر على الدهر وحده، بل اجتازه إلى أهله من بني البشر الذين ساء ظنه بهم فازدرى بهم، وأخذ يذمهم، كما قال:

أذم إلــى هـــذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب، وأبصرهم عم وأسهدهم فهد، وأشجعهم قرد[3]

وقد قدّم في هذه النقمة الملوك والأمراء الذين كان يعاشرهم، والذين كان يرجوهم فيخيبون رجاءه، ويعدونه فيخلفون الوعد، فقال فيهم:

ودهــرٌ نـَاسُــه ناسٌ صِــغار وإن كـَانـَتْ لهُمْ جُـثث ضخام
أرانب غيــر أنهُــم ملــوك مُفـَتحة عُـيُـونهُـــم نـِـــيَام[4]

وقال في قصيدة أخرى:

ولا أعَاشِرُ مِـــنْ أملاكِهم مَلِكـًا إلاّ أحق بضربِ السيفِ مِنْ وَثن.ِ[5]

هذا هو أبو الطيب المتنبي في تشاؤمه ونقمته على الزمان وأهله، وفي تشاؤم لم يمنعه من الكفاح لتحقيق آماله، وإعلاء شأنه.

---

(1) تولوا أي ذهبوا. يقول لم ينل أحد مراده من الدنيا فمات بغصته وإن سر في بعض الأحيان.
(2) راجع العرف الطيب، م2، ص346- 347 .القناة عود الرمح. والسنان نصله.
(3) المصدر نفسه، م1، ص383.
(4) المصدر نفسه، ص231.
(5) المصدر نفسه، ص336.

2- في الموت والحياة

يرى المتنبي أن الموت شيء لا بد منه، فهو لا يستثني أحدا مهما علت منزلته وسمت مكانته، فلا ينجو منه العالم ولا الجاهل، ولا الشجاع ولا الجبان. ويأتي بناء على ذلك بفلسفة تريد أن يختار الإنسان أعلى المنزلتين فيعيش شجاعا مَجيدا لا جبانا ذليلا، ويقبل على الدنيا مسلَّحا بالقوة، طالبا من المجد صهوته، ومن الرفعة ذروتها، وفي ذلك يقول:

إذا غَامَرْتَ فِي شرفٍ مَروم فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النّجُومِ([1])

ويقول في قصيدة أخرى:

لا تلقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيْرَ مُكْترث ما دَامَ يَصْحبُ فِيهِ رُوحُكَ البدنُ([2])

ويقول أيضا:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدّنّ الحُسَام اليمانِيَا

فما ينفع الأسد الحياء مِنَ الطوى ولا تتقى حَتّى تَكُونَ ضَوارِيَا([3])

فهو يفضل الموت على أن يحيى ذليلا ـ كما مر بنا ـ ، ولذا رفض الواقع واستعد للصراع في سبيل المجد وهذه هي نزعة القوة التي تتسم بها فلسفة الشاعر([4])، ويؤكد ذلك قوله في نونيته:

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

وإذا لم يكن من الموت بُد فَمِنَ العجز أن تكونَ جبانا([5])

وبما أنه عرف أن المجد لا يُنال إلاّ بصراع مستمر يتطلب تحمل نوائب الدهر، ومواجهة الخصوم والأعداء، واجتياز العراقيل استعد لذلك، فقال:

لا افتخارٌ إلاّ لِمَنْ لا يُضَامُ مُدركٌ أو مُحَاربُ لا يَنَامُ

واحتمال الأذى ورؤية جانِيـ ـهِ غذاء يضوي به الأجسام([6])

([1]) المصدر نفسه، ص434.
([2]) المصدر نفسه، م2، ص343.
([3]) المصدر نفسه، ص295.
([4]) راجع جورج معتوق، **المتنبي شاعر الشخصية القوية** ، ط2، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981م) ،ص56.
([5]) العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص347.
([6]) المصدر نفسه، م1، ص326.

وقال في قصيدة أخرى في وصف الحمى في مصر:

وإنْ أمرض فمَا مَرضَ اصْطِبَاري وإن أُحْمَـمْ فـمَا حُمَّ اعتزامي([1])

وهكذا بقي المتنبي غير يائس، مسلحا بالقوة لا يفشل في محاولة إلاّ ويردفها بأخرى، فكانت حياته كلها صراعا، صراعا في سبيل المجد والكرامة.

3- في العلاقات الاجتماعية:

ولعل المتنبي أدى به خيبة أمله في كثير من الذين عاشرهم إلى الحكم على الناس سلبيا، فرأى أن يتحفظ الإنسان في معاملاته مع بني البشر لأنهم جميعا ـ أو على الأقل أكثرهم- منافقون يظهرون ودّا وراءه خداع، ودينا وراءه نفاق، وفي هذا الصدد يقول:

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قـد أكلتهـم وذاقـا

فلـم أر ودّهم إلاّ خـداعا ولـم أرَ دينهم إلاّ نِفَاقَا([2])

وعلى هذا الأساس فإنه لا يرى للصديق الحقيقي وجودا في الحياة، " فالإنسان بطبيعته ذئب للإنسان" كما يقول الفيلسوف الإنجليزي **توماس هوبس([3])**، وعلى هذا إذا أردت صديقا فاكتف بنفسك، كما قال:

خليلك أنتَ لا مَن قُلتَ خلّي وإن كثرَ التجملُ والكلام([4])

وفي هذه الفلسفة ما يترجم علاقات الشاعر بالناس الذين ساء ظنه فيهم لأنهم كثيرا ما يستقبلونه ببشاشة وجه غير أنهم لا يكمنون له في أنفسهم إلاّ الوبال، ولذا صار المتنبي في حيرة لا يجد من يستحق صداقته كما قال:

([1]) المصدر نفسه، م2، ص364.

([2]) المصدر نفسه، ص62.

([3]) هو توماس هوبس (1588-1679م) فيلسوف إنجليزي اشتهر بنظرية في الحياة الاجتماعية تذهب إلى "أن الإنسان ذئب للإنسان" على خلاف الذين يقول " الإنسان كائن سياسي"؛ فهو يرى أن الإنسان بطبيعته لا يريد لأخيه إلاّ الشر ، وأن حبه في البقاء والسلام هو الذي دعاه إلى التعايش السلمي معه.

([4]) العرف الطيب...، م1، مصدر سابق، ص232.

وَصِ ِرْتُ أشك فيمَنْ أصْطفِيهِ لعلمِي أنّـهُ بعضُ الأنـَـام([1])

فعمّم الحكم على الناس أجمعين، لأنه لم يعد يرى من أخلاقهم وصفاتهم إلاّ أرذلها، ولا من طبائعهم إلاّ شرارها، فلا يكاد يؤمن بوعد جاء من إنسان، ولا يكاد يصدق ودّا أتى من إنسان، وفلسفته في ذلك : الإنسان ما دام إنسانا منافق مكّــار خدّاع .

4- في الشجاعة والعقل:

إنّ للشجاعة في فلسفة المتنبي مكانة ممتازة، فهو يراها مصدر كل مجد ورفعة، كما قال:

حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجد للسيف ليس المجد للقلم([2])

وكما قال في صباه يرسم فلسفة في الشجاعة:

إلى أي حين أنت في زي محرم وحتى متى في شقوة وإلى كم

وإلا تمت تحتَ السيوفِ مكرما تـَمُتْ وتقاس الذلَّ غيرَ مُكَرَّمِ

فثِبْ واثـــقا بالله وَثـْبَــــــــة ماجِــدٍ

يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفم([3])

ولكنه رغم هذه المكانة التي يخصصها للشجاعة، لا يرى لها أهمية إلاّ إذا رافقها العقل؛ فالعقل هو الذي يكمل الشجاعة ويرفع صاحبها إلى المكانة السامية، ولذا يقدم المتنبي العقل على الشجاعة والجرأة، كما قال:

الرأي قبل شجاعــة الشجعَـانِ هُــو أوَّلٌ وَهْيَ المَحَل الثاني

فإذا هــمَا اجتمَعَا لنفس حُـــرّةٍ بلغتْ مِــنَ العلياءِ كلَّ مَكان

ولرُبمَا طعــَـنَ الفتى أقـْــرَانـَه بالرأي قـــبل تطاعُن الأقران

لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغَم أدْنى إلى شــرفٍ من الإنسان([4])

([1]) المصدر نفسه، م2، ص360.
([2]) المصدر نفسه، ص383.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص108.
([4]) المصدر نفسه، م2، ص251- 252.

فالعقل يفوق الشجاعة في الأهمية لأنه هو الذي يعلي الإنسان على البهائم، وعلى هذا الأساس جعله الشاعر في المنزلة الأولى، فصوت العقل بالنسبة له أقوى كثيرا من صليل السيف أو صهيل الجواد.

o o o

هذا هو أبو الطيب المتنبي في فلسفته في الحياة، وهي فلسفة تقوم على القوة ويطغى عليها التشاؤم، تشاؤم يختلف عن تشاؤم أبي العلاء المعري، إذ هو تشاؤم لا يتنافى مع الصراع في سبيل المجد والرفعة. وقد تناولت هذه الفلسفة جميع مجالات الحياة تقريبا، فكان المتنبي كما قال فيه إبراهيم اليازجي:« ينطق بألسنة الحدثان، ويتكلم بخاطر كل إنسان».([1])

الفصل الثالث: أغراض شعر المتنبي

المبحث الأول: شعره

يعتبر أبو الطيب المتنبي من أكبر فحول الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى أيامنا هذه. فقد كان ذا عبقرية فذة، وذكاء حاد، كما كان متمكنا من زمام

([1]) ذكره حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، مصدر سابق، ص629.

اللغة العربية يتصرف بها كيف يشاء، فأعجب بنفسه وبشعره منذ أول وهلة، وقال في ميميته المشهورة:

أنام ملء جفوني عـــن شواردها ويسهر الناس جــراهّا ويختصم([1])

وقال مخاطبا سيف الدولة:

أجــزني إذا أنشدت شعـــرا فإنما بشعــري أتـــاك المادحون مـــرددا

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى([2])

فهذه الأبيات، وإن كانت مليئة بالمبالغات تدل على شعور الشاعر بالمنزلة التي كان يحتلها في الشعر، وهي منزلة سامية لا يكاد يشك فيها حتى أكبر معارضيه، وإنه، وإن لم يبلغ مرتبة أشعر الشعراء، فإني ما رأيتُ من شعراء العرب شاعرا أثار ضجة في الشعر كما فعله المتنبي، أو شاعرا اعتني بشعره بالشرح والتحليل والنقد كما اعتني بشعره([3]). وعلى هذا الأساس قال فيه خليل مطران:« *فأمّا إذا نظر إلى شعره من حيث هو الذي ألفه العرب منذ أجراه مجراه الباقي إلى اليوم، فإنّي لمن القائلين بأن المتنبي في الذروة العليا من طبقات شعرائنا وإنّه رزق ما لم يرزق أحدهم من سحر البيان وقوة الإبداع وسر التفوق*» ([4])، وقد صوّره ابن رشيق أحسن تصوير في عمدته حين قال: «*ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس*».([5])

ومن الناحية التاريخية جاء شعر المتنبي مرآة لعصره يصور لنا ما حدث فيه من الثورات والاضطرابات في العراق وما حولها، كما يقص علينا الأحداث

([1]) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م2، مصدر سابق، ص120.

([2]) المصدر نفسه، ص184- 185.

([3]) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أربعين شرحا للديوان، أشهرها شرح اليازجي، وشرح ابن جني ، شرح الواحدي (1057) ، وشرح أبـــي العلاء المعري (1058)، وشـرح العكبري (1219) وغيرهم.

([4]) راجع أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص21.

([5]) ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، جزآن، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، بدون طبعة ولا تاريخ) ، ج1، ص100.

الجسام التي عرفها التاريخ في هذه الفترة نحو انتصارات سيف الدولة على الرومان، وبنائه القلعة في مدينة الحدث، والتي صورها في ميميته المشهورة التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم([1])

وإلى جانب ذلك صوّر لنا شعر المتنبي الحياة الثقافية، وما كانت تتمثل به من النضج الفكري، وانتشار النزعات الفكرية كالقرمطية والعلوية وما إلى ذلك.

ومن ناحية أخرى كان شعر المتنبي انعكاسا لحياته منذ صباه وما يتسم به من الفتوة والشجاعة، إلى شبابه وكهولته وما يتصفان به من الجهاد والقومية والتنقلات في سبيل المجد والسيادة. أضف إلى ذلك حياته في ظل الأمراء وما حدث فيها من الأحداث، والمنافسات مع الخصوم والأعداء، وما يترتب على ذلك كله من الآمال والفشل، والغضب والسرور وما إلى ذلك. يقول حنا الفاخوري :« *اتسم شعر المتنبي أطوار حياته، وكان سجلا لمختلف ما تقلب عليه من أحوال نفسيّة، حافظا صور ثوراته وهياجه وطموحه وحرمانه وأفراحه وأحزانه*».([2])

وأخيرا جاء شعر المتنبي ترجمة لشخصيته فتجلى فيه همته العالية، وكبرياؤه، واعتداده بنفسه، واصطبغ كل ذلك بصبغة القوة في معانيه وصوره وأخيلته وعاطفته، وقد أحسن عباس محمود العقاد تصوير شخصيته في شعره حيث قال:« *فهو حيث قلبت من حكمته أو فخره أو غزله أو رثائه هو هو المغامر المعتد بفضله الفاشل في أمله الساخط على زمنه*».([3])

([1]) راجع العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م2، مصدر سابق، ص202.
العزم: الثبات والشدة فيما يعزم عليه المرء، العزائم ج عزيمة وهي ما يعزم على فعله

([2]) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص611.

([3]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص10.

المبحث الثاني: أغراض شعره

اهتم أبو الطيب المتنبي على غرار فحول الشعراء بأكثر الأغراض الشعرية فمدح، وهجا، وافتخر، ووصف، وشكا، وتغزل، وعاتب، ورثا. وبالتالي جاء شعره متنوعا يتناول أشهر الأغراض الشعرية بدرجات متوالية.

أولا: المدح

يتمثل المدح كأكثر الأغراض الشعرية وُرُودًا في شعر المتنبي؛ كرّس فيه أكثر من ثلث الديوان، ومدح أكثر من خمسين شخصا، أشهرهم سيف الدولة الحمداني، وبدر بن عمار، وكافور الإخشيدي، وأبو العشائر والي أنطاكية، وعضد الدولة البويهي، وأبو شجاع فاتك وغيرهم.

وهؤلاء بطبيعتهم مختلفو الرتب فيهم أمراء، وموالي، وقواد جيش، وآخرون من أوساط الناس. ولكن أكثر مدائحه قاله في الأمراء وذوي الرتب العالية، ومن ثمّ استعلى على مدح بعض الزعماء كابن كيغلغ وغيره.

أمّا معاني مدحه فقد جاءت غزيرة قوية ، تجعل ممدوحه كائنا مثاليا فوق البشرية؛ يصفه الشاعر بصفات الرجل الكامل من كرم وشجاعة، وذكاء، وعلم، وما جرى مجراه، وعلى هذا الأساس جاءت معانيه متقاربة رغم اختلاف الممدوحين، وفي ذلك يقول صدقي إسماعيل:« *إن المتنبي قد رسم في مدائحه كلها، (...) ملامح واحدة لبطولة خارقة مجسدة في إنسان، إنها سمات الطبيعة العربية كما أحسها هو في كيانه وكما أراد لها التحقق والحياة*» ([1]).

ومن هنا جاءت مدائحه لكافور قوية رائعة من الناحية الفنية، وإن كانت كاذبة لأن الشاعر مدحه، لا لأنه رأى فيه ما يعجبه، ولكن ليحقق له آماله لا غير. فاصغ إليه وهو يمدح كافورا:

([1]) سليمان العيسى، **موجز الديوان شرح اليازجي**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بدون طبعة ولا تاريخ) ، ص62. (المقدمة مقال لصدقي إسماعيل)

يدل بمعنى واحـــد كـل فاخـــر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا
إذا كسب الناس المعالي بالنـدى فإنك تعطي في نــداك المعاليا([1])

حيث جعل كافورا إنسانا كاملا يجتمع فيه جميع المناقب الفاضلة، فلم تعد له حاجة في اكتساب المراتب لأنه هو الذي يجود بها.

ومن ناحية أخرى، تتميز مدائحه بعدم تخليها عن شخصيته، وكثرة المبالغات، والمحسنات البديعية.

وجملة القول في مدحه ما قاله جورج عبدو معتوق :« *إن مدح المتنبي جيّد بارع لولا غلوه الممقوت، وأفخمه ما جاء في سيف الدولة وأبرعه ما جاء في كافور*» ([2]).

ثانيا: الهجاء

لم يشتغل المتنبي بالهجاء كما اشتغل به غيره من الشعراء كجرير والفرزدق، فلم يفرغ للهجاء إلاّ حين يبغض أو حين يريد أن ينتقم، ولم يهج بقصائد مستقلة إلاّ ثلاثة كافور الإخشيدي والي مصر، وابن كيغلغ، وضبة؛ فهجا الأول لأنه خيب رجاءه، والثاني لأنه حبسه عن السفر لما امتنع عن مدحه، والثالث لإرضاء رفاقه. وبالتالي جاء هجاؤه انتقاما لكرامته الثائرة ونفسه الجريحة، ونفسه المتألم([3]).

ومن الناحية المعنوية جاء هجاؤه لاذعا مُرّا مُمّضًا لأنه لا يعرف من الهجاء إلا الطعن القاتل؛ فأسقط بهجائه رجالا إلى الأبد، وألصق بأسمائهم وصمات غضّ منهم، وجعلهم أضحوكة الناس كلما قرؤوا قصائده الهجائية. فاستمع إليه وهو يهجو كافورا:

([1]) العرف الطيب، م2، مصدر سابق، ص299.
([2]) جورج معتوق، المتنبي شاعر الشخصية القوية، مصدر سابق، ص66.
([3]) المصدر نفسه، ص99.

وتعجبني رجلاك في النعل إنني رأيتك ذا نعـــل إذا كـــنتَ حـــافيا
وإنك لا تدري ألـــوْنك أســـودُ منَ الجهل أم قد صَار أبيضَ صافيا

إلى أن قال:

ومثلك يُؤتى مِنْ بـــلادٍ بعيـــدةٍ ليضحكَ رَبَـات الحِـــدادِ البَـــواكيا[1]

فما رأيك في هذا المظهر الرديء الذي يستطيع أن يضحك النساء الثاكلات مع كل ما يغمرهنّ من الحزن واللوعة والألم.

وقال في قصيدة أخرى إنه لا يلومه عمّا فعل من تخييب أمله لأنه ليس من أهل الجميل، ومن ثَمّ عاجز عنه بطبيعته، كما قال:

أولـــى اللئام كويفيـــر بمعذرة في كل لؤم وبعض العـــذر تنفيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود([2])

وقد تجلت في هجاء المتنبي نقمته على الدهر وأهله، فلم يتوقف على مهجوه، بل اجتازه إلى هجاء الزمان والناس جميعا. كقوله:

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيء بي فيه عبد وهو محمود
ولا توهمت أن الناس قد فقدوا وأن مثل أبـــي البيضاء موجود([3])

وقوله في الأمة الإسلامية:

ساداتُ كل أناسٍ مِـــنْ نُفوسهم وسادة المسلمِـينَ الأعبُدُ القـَـزَم
أغاية الدِّين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكَتْ من جهلها الأمم([4])

فمما لا يدع مجالا للشك أن المتنبي قد هجا فأجاد الهجاء، وبلغ منه مقصده من الجرح والمضّ، أمّا كونه صادقا أم كاذبا فلا يوثر في جودته شيئا، لأن الشاعر

([1]) العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص388- 389.
([2]) المصدر نفسه، ص400.
([3]) المصدر نفسه، ص399.
([4]) المصدر نفسه، ص390.

يطلب منه حين يهجو «*أن يتقن الإساءة إلى من يهجو، ويبرع في التشهير به، والتشنيع عليه*» (1).

ثالثا: الفخر

كان أبو الطيب المتنبي شاعرا مغرورا، ذا عنجهية نادرة وكبرياء شديد، يؤمن بتفوقه على البشرية طموحا وذكاء، وشجاعة وصبرا. وقد دفعه ذلك كله إلى الإعجاب بنفسه والافتخار بها في كل مناسبة حتّى لا تكاد قصيدة واحدة من قصائده تتجرد من الفخر: فهو يفتخر حين يمدح، وحين يهجو، وحين يتغزل، وحين يعاتب، وحين يصف وحتّى حين يرثي. فاصغ إليه وهو يرثي جدته:

وإني لمِنْ قَــوْمٍ كأنَّ نفوسَهم — بها أنف أنْ تسكنَ اللحمَ والعظمَا
كذا أنا يَا دُنيَا إذا شِئتِ فاذهَبي — ويا نفس زيـدي في كرائهها قدمَا
فلا عبرتْ بي ساعَة لا تعزنِي — ولا صحبتني مهجة تقبل العظـمَا(2)

فنحن أمام ظاهرة غريبة إذ كان الرثاء مناسبة للبكاء والتفجع، وأمّا أن يظهر الشاعر فيه شخصيته هكذا فمما يعتبر خاصية من خصائص المتنبي.

هذا، ومما حدّد ميل الشاعر إلى الفخر مرارة العيش التي عرفها، وكثرة خصومه وأعدائه في بلاطات الأمراء بالإضافة إلى المنافسة الشديدة التي كانت قائمة فيها، وهذا ما يبرر قوله بمحضر سيف الدولة الحمداني:

سيعلمُ الجَمْعُ مِمَنْ ضمّ مجلسنا — بأنني خيرُ مَن تسعَـى له قــدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي — وأسمعت كلماتي من به صممُ(3)

ومن أشهر ما افتخر به الشاعر:

- **طموحه وقوة إرادته**، كقوله:

---

(1) مع المتنبي، مصدر سابق، ص 318.
(2) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص347- 348.
(3) المصدر السابق، م2، ص120.

أريد من زمني ذا أن يبلغني   مـَا ليـس يبلغه من نفسه الزمـن[1]

- **شجاعته وفروسيته**، كقوله:

لأتركن وجوه الخيل ساهــمة   والحرب أقوم من ساق على قدم

والطعنُ يحرقها والزجرُ يقلقها   حتى كـَأن بهَا ضربٌ مِن اللمـَمِ[2]

- **تحمله على مصائب الحياة**، مثل قوله:

والدهر يعجب من حملي نوائبه   وصبر نفسي على أحداثه الحطم[3]

- **كرامته وإباؤه للضيم**، كقوله:

وآنـف مِــنْ أخِي لأبـي وأمِـي   إذا لـــم أجـــده مِــن الكـــرام[4]

وقوله:

ذلّ مَــنْ يَغـبطُ الذّلِيلَ بعَيْشٍ   ربّ عيْـش أخـفّ مِنْـهُ الْحَـمَامُ[5]

- **تفوقه على الناس**، مثل قوله في صباه:

إنْ أكُنْ مُعجبًا فعُجْب عَجيبٍ   لـمْ يَجـدْ فـوْقَ نَـفْسِهِ مِنْ مَـزيد[6]

وقوله:

فمَا أنَـا مِنهُمْ بالعَيْشِ فِيهِـــم   ولكـــن معـدن الذهَـبِ الرغـام[7]

- **شاعريته وعبقريته** نحو قوله:

وما الدهر إلاّ من رواة قصائدي   إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ منشدَا

فسار به مَـــنْ لا يَسِيرُ مـرددا   وغنّـــى بهِ مَـــنْ لا يغني مغرّدَا

أجزني إذا أنشدتَ شعْرًا فإنّما   بشعــري أتاك المادحون مـــردّدَا

وَدَعْ كـلَّ صوتٍ غيـــرَ صوتِي فإنـّني

أنَـا الطـــائِرُ المَحْكِيّ والآخـر الصّدَى[8]

(1) المصدر السابق، ص343.
(2) المصدر السابق، م1، ص138.
(3) المصدر السابق، م2، ص385.
(4) المصدر السابق، ص361.
(5) المصدر السابق، م1، ص326.
(6) المصدر السابق، ص116.
(7) المصدر السابق، ص231.
(8) المصدر السابق، م2، ص184- 185.

فهذا أشهر المجالات التي افتخر بها المتنبي، وقد جاء فخره مليئا بالمغالاة والمبالغات، يدّعي فيه التفوق في كل فضيلة ويزدري الزمان والناس جميعا.

رابعا: الرثاء

عرف المتنبي الرثاء كغيره من الشعراء، وأشهر من رثاهم جدته و أقارب سيف الدولة، وأبو شجاع فاتك، ومحمد بن إسحاق التنوخي....

ويمكن تقسيم مراثيه إلى قسمين: قسم جاف مصطنع لم يصدر عن قلبه، ويغلب فيه العقل على العاطفة لأنه لم يتفجع لوفاة المفقودين ، بل كان مضطرا إلى رثائهم لإرضاء آخرين كما هو الحال في رثاء أم سيف الدولة، وأخته الصغرى، وابن عمه وخادمه وغيرهم، وقد اتسم هذا النوع من الرثاء بمدح الفقيد وأهله، وبسط فلسفة في الموت والحياة، كقوله في رثاء أخت سيف الدولة الصغرى:

وَلذيذ الحَيَاةِ أنفسُ فِي النفْـــ	سِ وَأشْهَى مِنْ أنْ يُمـلَّ وأحْـلَـى
وَإذا الشيخُ قَالَ أفّ ٍفَمَا مَـــ	ـلّ حَيَاةً وإنّـمَا الضّعْـفَ مَـــلاّ
آلة العيش صحّـــة وشبَـــابٌ	فإذا وَلّـــيَا عَــــن المَـــرْءِ وَلّـى([1])

وقسم آخر نلمح فيه صدق العاطفة، والتفجع واللوعة لتعلقه بمن يرثي، وتألمه بوفاة المفقود؛ فجاء رثاؤه عاطفيا يصوّر ما يشعر في قلبه من الحزن والألم. كما في رثاء جدته، وفي رثاء أخت سيف الدولة الكبرى خولة، حيث يقول:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبَر	فزعت فيه بآمالي إلَـــى الكَــذِبِ
حتى إذا لـَمْ يدع لي صدقهُ أمَلا	شرقتُ بالدمع حَتى كادَ يشرقُ بي([2])

([1]) راجع العرف الطيب..، م2، ص239- 240.

([2]) المصدر نفسه، ص280-286

هذا هو المتنبي في رثائه، فهو لا يحسن البكاء على الميت إلاّ إذا كان المرثي أثيرا عنده، متعلقا بقلبه، وأما فيما عدا ذلك فهو يلجأ إلى مدح الفقيد وأهله وإرسال الحكم التي تهز الشعور ولا تؤدي إلى التفجع.

خامسا: الغزل

شغل طلب المجد والعزة المتنبي عن الانصراف إلى اللهو والمجون والاعتناء بالمرأة، كما قال:

تَرَكْنا لأطراف القنا كلَّ شهوةٍ فلَـيْـسَ لَـنَـا إلاّ بـهـنّ لِعَـابُ[1]

وقوله:

وَلا تحسبنّ المَجْدَ زقّا وَقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر[2]

ولكنه رغم ذلك كله تغزل لا ليرضي قلبه، وإنما ليرضي الفن، ويتغزل كما تغزل الشعراء قبله. وعلى هذا الأساس جاء غزله ضعيف العاطفة تقليديا، ومليئا بالمعاني البطولية[3]، كما في قوله:

كَمْ قتِيل كـَمَا قُتِلْتُ شَهِــيدِ لبَيَاض الطّـُلى وَوَرْدِ الخـُدودِ[4]

وَعُـيُون المَــهَا ولا كعُــيُونِ فتكـَتْ بالمُـتـَــيَّم المَعْمُــــودِ[5]

إلى أنة قال:

رامياتٍ بأسهُــمٍ ريشُـهَا الهُـدْ بُ تـشق القلـوب قبل الجُلــودِ[6]

وقد فضل المتنبي الجمال المطبوع على الجمال المتصنع ، فآثر البدويات على نساء الحضر لما يتمتعن به من المحاسن الطبيعية، وفي ذلك يقول:

---

(1) المصدر نفسه، ص355.
(2) المصدر نفسه، م1، ص370.
(3) راجع حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص624.
(4) الطلى ج طلية وهي العنق.
(5) المها بقر الوحش، شبه عيون النساء بعيونها؛ المتيم: الذي استعبده الحب
(6) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص112- 113.

ما أوجهُ الحضر المستحسنات بهِ كأوجُـهِ البدويـَاتِ الــرَّعَــابيب
حسـن الحضارة مَجْـلوبٌ بتطريةٍ وَفِي البَداوَةِ حُسْن غيـر مجلوب
أفدي ظباءَ فلاةٍ مـَـا عَــــرَفْنَ بها مضغ الكلام ولا صبغَ الحواجيب([1])

ولم يكن المتنبي أبدا من هؤلاء العذريين الذين كرسوا في الحب كل حياتهم حتى شغلهم عن كل ما سواه، ولقوا من أجله كل ما لقوه مـن صنوف الألم والتعس والتبعية، فاصغ إلى رائد هذه المدرسة ، جميل* يصف مدى حبه لبثينة:

ولــو سألتْ منّي حـياتي بذلـتها وجُـدْتُ بها، إن كان ذلك من أمــري
مضى لِــي زمانٌ، لو أخيّرُ بينه، وبين حَـيَـاتِـي خــــالدًا آخِـرَ الدّهــر
لقلتُ: ذرونِي ساعَـةً وَبُـثـَـيْـنَـةً على غفلة الواشين، ثم اقطعوا عمري([2])

فالمتنبي لم يصل في حبه إلى هذه المنزلة، فقد تعددت الحبيبات في غزله، ولم يتغزل إلا ليستهل به القصيدة، فما رأيته يتفرد قصيدة بالغزل، كما فعل العذريون، وربما أهمل الغزل مبتدئا القصيدة بالحكمة أو بالمدح.

سادسا: الوصف

وصف المتنبي فأجاد الوصف، وصوّر فأحسن التصوير، ومن أروع ما قاله في الوصف القصائد الملحمية التي وصف فيها حروب سيف الدولة، والتي قد صوّرها تصويرا دقيقا رائعا تجعلك تصور المعركة كشاهد عيان، فاقرأ هذه الأبيات التي يصف فيها جيش الروم:

([1]) المصدر نفسه، م2، ص308.

* هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري (ت701م)، شاعر أموي اشتهر بالغزل العذري العفيف حتى أصبح رائد تلك المدرسة الغزلية، وهي المدرسة العذرية التي يكوّنها أبناء قبيلة عذرة الذين قيل فيهم كانوا إذا أحبوا ماتوا؛ لأنهم لا يقوون على مغالبة هواهم، ولا يحبون إلا امرأة واحدة يكرسون لها حياة كلها ومن هذه المدرســـة جميل بثينة، ومجنون ليلي، وعباس بن الأحنف وغيرهم، ويقابله في الغزل مدرسة عمر بن أبي ربيعة.

([2]) جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ط2، بيروت: دار صادر2002م، ص59.

أتَـوك يجـُــــرون الحَـــديدَ كأنـــــما سَـرَوا بجـيَـادٍ مَـا لهُـن قوائِـم([1])
إذا برقوا لـم تعـرف البيــض منهــم ثيابهـم مـن مثـلـها والعَـمَائــم([2])
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه الزمازم([3])
تجمـع فـيه كـــل لســــــن وأمَّـــــةٍ فما يفهم الحداث إلاّ التراجــم([4])

فهو صور الجيش تصويرا دقيقا يجعلك تصوره في استعداده، وكثرة أسلحته وجنده وتنوعهم حتى لا يتفاهمون إلاّ بواسطة الترجمان.

وقد وصف المتنبي الطبيعة كذلك، وإن لم يكن مشتغلا بها كثيرا، فوصف الأسد، وشعب بوّان، وجبال لبنان، وبحيرة طبرية وغيرها.

وهو يبالغ في وصفه أحيانا، كما في قوله في وصف الأسد الذي هرب من بدر :

وردٌ إذا وردَ البُحيرة شاربًـــا وردَ الفراتَ زئِيرُهُ والنّيـــلا([5])

فما رأيك بهذا الأسد الذي يزأر في طبرية فيبلغ زئيره العراق ومصر؟

ومما صور في وصفه أيضا طموحه ونفسيته وأخلاق الناس وطبائعهم.

أمّا معاني وصفه فقد جاءت قوية مؤثرة، بتعبير مُحكم ووصف دقيق وتصوير رائع.

سابعا: الحكمة

اشتهر أبو الطيب المتنبي بالحكمة، وقال فيها ما لا يزال متداولا بين الألسن، جاريا مجرى الأمثال. وقد جاءت حكمه متناثرة في قصائده، والتي تناول فيها الأغراض الأخرى من مدح، وهجاء، وغزل، ورثاء وما إلى ذلك؛ حينا يستهل بها القصيدة، وحينا يخلل بها الأبيات، ويختم بها القصيدة حينا آخر، كما يجمع كل ذلك في القصيدة أحيانا.

([1]) السري: سير الليل.
([2]) البيض : السيوف.
([3]) خميس: جيش. الجوزاء نجمان معترضان في وسط السماء. الزمازم ج زمزمة وهي صوت الرعد يعني أن جيشهم طبق الأرض وبلغت جلبته إلى السماء.
([4]) راجع المصدر نفسه، ص205.
([5]) راجع المصدر نفسه، م1، ص300. الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة. المراد بالبحيرة بحيرة طبرية. والزئير صوت الأسد.

وحكمته جملةً صادرة عن تجاربه الشخصية، واختباره للناس وإن وردت فيها بعض معاني الفلسفة الإغريقية التي كانت منتشرة في عصره.

وأشهر المعاني التي تناولها في الحكمة: العزة والكرامة، وذم الدهر، والمعاملة، والعقل والشجاعة، وأخلاق الناس وطبائعهم وما جرى مجراه.
وأمّا معانيها فقد جاءت مطبوعة بطابع القوة والعظمة، وبطابع التشاؤم أحيانا.

ثامنا: الشعر الوجداني

مما لا شك فيه أن المتنبي عرف في مصر مرارة العيش، وضيق الحياة: فارق حبيبه سيف الدولة، وقصد أميرا يكنّ له البغض، ولكنه كان مضطرا إلى مصاحبته لا لشيء إلاّ لتحقيق آماله، فوعده الأمير كافور وخدعه، ثم مرض في مصر فلم يكد يلتفت إليه فصار في مصر حزينا كئيبا يحن إلى حبيب نفسه، وكالحبيس لا يجد منفذا للراحة، ولا بصيص أمل في مستقبله، فأخذ يشتكي ويتألم في غناء حزين يعتبر من أروع ما قاله في مصر([1]).

ومن أشهر ما قال في هذا الصدد ميميته التي وصف فيها الحمى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، والتي يقول فيها:

أقمتُ بأرض مِصْرَ فلا وَرَائِي تخب بي الركَاب ولا أمَامي
وملّني الفِـــرَاشُ وَكَانَ جَنبي يملّ لقاءَهُ فِـي كُـلِّ عَـــام
قليـــل عائدي سقـم فـــؤادي كثيرٌ حَاسِدي صعبٌ مَرَامِي([2])

([1]) راجع طه حسين، مع المتنبي، مصدر سابق، ص317.
([2]) العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص361- 362.

فقد تعجب طه حسين بهذه الأبيات، وعدّها من أروع ما قيل في الشعر العربي حيث قال:« *وما أعرف إني وجدت في كل ما قرأتُ من الشعر العربي ما يشبهها جمالا وروعة، ونفاذا إلى القلب وتأثيرا في النفس...*» ([1]).

o o o

هذه هي أهم الفنون الشعرية التي تناولها أبو الطيب المتنبي، والتي يطغى عليها المدح الذي نعالجه في الباب الثاني.

([1]) مع المتنبي، ص333.

الباب الثاني:
أبو الطيب المتنبي المادح

الفصل الأول: مكانة المدح عند العرب

مما لا شك فيه أن المدح هو أكثر الفنون ورودا في الشعر العربي، فقد اهتم به شعراء العرب منذ أيامهم الأولى، وعنوا به عناية تامة حتى أصبح سمة ملتصقة بشخصياتهم يشغل من حياتهم نصيبا مفروضا، كما قال أحمد أبو حاقة :« *إذا كان لكل أدب من آداب الأمم ميزة يتميزون بها، وفن اهتم به من دون*

سائر الفنون، فإن ميزة الشعر العربي هي المديح، حتى ليكاد هذا المديح يطغى على كل ما جاء من مدائح لدى الأمم جمعاء» ([1])

وهكذا واكب المدح سير الشعر العربي، فلم يكد يغيب في عصر من العصور، ولم يكد شاعر ذو شأن يعرض عنه، بل أقبلوا عليه جميعا لأغراض متباينة، وفي أساليب مختلفة من العصر الجاهلي إلى أيامنا هذه.

المبحث الأول: المدح في العصر الجاهلي

مهدت الحياة الجاهلية نشأة المدح وتطوره في الأدب العربي، فقد كان الجاهلي بطبيعته مؤمنا بالفضائل والشيم، ساعيا إلى التحلي بها ليظهر أمام الناس وقورا محترما، تطير شهرته بينهم فيعجبون به، ويذكرون قدراته في كل المواقف. ومن هنا ظهر من بينهم من ضُربَ بهم المثلُ في الجود والشجاعة، والمروءة، والكرم أمثال **حاتم الطائي، وعنترة بن شداد، وهرم بن سنان** وغيرهم.

أضف إلى ذلك تعصب الجاهلي بالقبيلة، وكونه حريصا على ذكر أمجادها، وإعلائها، والذود عنها ضد أعدائها، وكذلك الحروب الكثيرة التي كانت تدور بين القبائل مما أدى إلى ظهور فرسان في غاية الشجاعة والمروءة دافعوا عن القبيلة بسيوفهم وضحّوا بحياتهم في سبيلها.

فلم يكن بد للشاعر أن ينفعل أمام ذلك كله، ويلعب دوره في المجتمع بذكر مناقب القبيلة والثناء على زعمائها، علاوة على المساهمة الفعالة التي يجب أن يؤدّيها في بلورة المثل العليا ، والصفات الفاضلة. وعلى هذا الأساس عرف المدح تطوّرا ملحوظا في العصر الجاهلي وبدأ الشعراء يتنافسون في نظم القصائد التي كانوا يعرضونها في أسواقهم.

([1]) أحمد أبو حاقة، فن المديح وتطوّره في الشعر العربي، ط1، (بيروت: منشورات دار الشرق الجديد 1962م) ، ص15.

ومن الجدير بالذكر أن المدح تأثر كثيرا في هذه الفترة بالظروف البدائية فكانت القصيدة المدحية تبتدئ بمقدمة غزلية يبكي فيها الشاعر على الأطلال ويذكر محاسن حبيبته ، ثم يصف الناقة قبل الوصول إلى الغرض الأساسي، ألا وهو المدح.

في هذه الحالة جاء الإسلام فتأثر منه المدح إلى حد بعيد، ومن أشهر المداحين في هذه الفترة **النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وامرؤ القيس**، وهؤلاء من أصحاب المعلقات([1]).

فاقرأ معي هذه الأبيات التي يمدح بها النابغةُ النعمانَ ملك الحيرة حيث استهلها بمقدمة غزلية:

يـــا دار مَـــيّة بالعلـــياء فالسَّـــــنَد
أقـــوَتْ وطال عليها سالـفُ الأبـــدِ([2])
وقفـــتُ فيـــها أصيلا كـــيْ أُسائـلها
عيّـــَتْ جـــوابا ومـا بالربع من أحـد([3])

ثم أردفها بوصف الناقة:

فعـــدِّ عـــما تـــرى إذ لا ارتجـــاع لـه
وانـــم القـُـتُود عـلى عيـــرانة أجـد([4])
مقـــذوفة بـــدخيس النحـــض بـــازلها
لـــه صـــريف صـــريف القعو بالمسد([5])

([1]) المعلقات هي القصائد الـــتي كانت كتبت بماء الذهب وعلقت على الكعبة في العصر الجاهلـــي لجمالها وقيمتها الأدبية والفنية. وعددها سبعة وقيل عشرة وأشهر أصحابها: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، والنابغة الذبياني، وعمرو بن كلثوم، ولبيد....
([2]) العلياء: المرتفع. فالسند: الوادي. أقوت: بليت.
([3]) أصيلا: بعد العصر. عيت: عجزت.
([4]) القتود: رحال النوق. عيرانة: ناقة كالعير. أجد: قوية موثقة الخلق.
([5]) دخيس النحض: اللحم الكثير. البازل: الناب. القعو: بكرة الحبل.

إلى أن قال يمدح النعمان:

فتلك تبُلغـــنِي النعمـــانَ إن لـــه

فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

ولا أرى فــاعلا في النـــاس يشبهه

ولا أحـــاشي من الأقـــوام من أحـــد([1])

المبحث الثاني: المدح في عصر صدر الإسلام

كان ظهور الإسلام ثورة عظيمة على الحياة الجاهلية؛ فقد جاء الدين الجديد بمناقب جديدة، ونفى كثيرا من التقاليد والمعتقدات الجاهلية نحو التعصب بالقبيلة، وحب الانتقام، والتملق أمام السلطان وما إلى ذلك، وحرم الخمر والكبرياء، وجعل الأخوة أخوة دينية لا قبلية.

أضف إلى ذلك أن الإسلام لم يكن ليحرض الشعراء الحديثي العهد بالدين الجديد على قول الشعر، بل نفى الله الشاعرية عن رسوله ووصف الشعراء بالغواية والكذب. كما قال في كتابه العزيز: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمن وأنهم يقولون ما لا يفعلون...) ([2])

وعلى هذا الأساس أعرض كثير منهم عن قول الشعر وانشغلوا ببناء عقيدة راسخة، ولكن بعض شعراء قريش انكبّوا على هجاء النبي(ص) والشريعة الجديدة الغراء، فكان المسلمون مضطرين على الرجوع إلى قول الشعر للدفاع عن الرسول والردّ عن مهاجي قريش. وبالتالي قام **حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة** وغيرهم بنظم المدائح ذائدين عن الدين الجديد، ومادحين النبي وأصحابه مع ذكر مزايا الدين الذي جاء به محمّد(ص).

([1]) ذكر في فن المديح، المصدر السابق، ص99 – 105.

[2] () القرآن الكريم برواية ورش، سورة الشعراء، الآيات 224/223.

وجملة القول إن المدح لم يكن غزيرا في عصر صدر الإسلام، لأن الإسلام ضيق مجالاته، وشغل الشعراء عن الشعر، فلم يحفظ منه في هذا العصر إلاّ قصائد قليلة قيلت في مدح النبي وأصحابه. ومن أشهرها قصيدة حسان بن ثابت في فتح مكة، والتي مطلعها:

عـــفت ذات الأصـــابع فالجواءُ

إلى عـــذراء منـــزلها خـــلاء

وحيث يمدح الرسول ورسالته ويرد على هجاء القرشيين، وفي ذلك يقول:

وقـــال الله قـــد أرسلتُ عبْـــدًا

يقـــولُ الحـــقَّ إن نفـــعَ البـــلاء

شهدتُ بـــه وقـــومِي صـــدقـــوه

فقـــلتم مـــا نجيـــب وما نخـــاف

إلى أن قال يخاطب أبا سفيان:

هجـــوتَ محمـــدا فأجـــبتُ عنـــه

وعـــند الله فـــي ذاك الجـــزاء

أتهجـــوه ولســـتَ لـــه بـــكـــفءٍ

فشـــرّكما لخيـــركـــما الفـــداء

فمَـــن يهجُـــو رسُـــولَ الله منكـم

ويمـــدحـــه وينـــصـــره ســـواء

فإن أبـــي ووالـــده وعِـــرضي

لعـــرض محـمد منـــكم ِوقـاء([1])

فكان المدح كما يتجلى في القصيدة، ذا رسالة هي الدفاع عن الرسول محمّد (ص)، والسعي إلى بلورة المثل الإسلامية العليا. وقد ساهم ذلك كثيرا في تغيير المعاني والصور الخيالية.

([1]) فن المديح، مصدر سابق، ص117- 120.

المبحث الثالث: المدح في العصر الأموي

ازدهر فن المديح في العصر الأموي، وقوي، بعد ركود، بفعل المنافسات السياسية بين الأحزاب الناشئة بعد انتهاء الخلافة الراشدة؛ فكان منها أنصار بني أميّة، وأنصار علي بن أبي طالب، وأنصار الزبير وأهله. وقد كان لكل حزب شعراءُ يدافعون عنه، ويمجدون زعماءه.

أضف إلى ذلك عودة المسلمين إلى ما يشبه الفوضى الجاهلي، فحل الملوك محـــل الخلفاء ورجع المجون واللهـــو فـي البلاطات، ومـن هـنا« *قوي [المديح] أكثر مما كان عليه في الجاهلية، وداخلته مقومات جديدة، ومعان جديدة واتجاهات جديدة كذلك*». ([1])

أمّا من حيث الأسلوب فقد بقي بناء القصيدة كما كان في العصر الجاهلي مستهلة بالنسيب قبل المدح.

ومن أشهر شعراء المدح في هذه الفترة **الفرزدق، وجرير والأخطل، ومسكين الدارمي، والكميت الأسدي** وغيرهم.

وإليك أبياتا من القصيدة التي مدح بها الكميت بني هاشم:

طربت وما شوقا إلى البيض أطربُ
ولا لعـبا مني وذو الشيب يلعب
ولـــم يلهني دارٌ ولا رســـمُ منـزلٍ
ولـم يتطـربني بنـــانٌ مخضّب

إلى أن قال يعلل سبب فرحه:

ولكن إلى أهـــل الفضائل والنهـــى
وخير بَـنِي حوّاءَ والخيـر يُطلب

[1] () المصدر نفسه، ص146.

إلـــى النفـــر البيـــض الذيـن بحُبِّـــهم
إلـــى الله فيـما نـــابني أتقـــرب
بنـــي هـــاشم رهـــط النبـــيِّ فإننـــي
بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضب([1])

المبحث الرابع: المديح في العصر العباسي:

نضجت الحياة الفكرية في العصر العباسي، وأثر ذلك في الشعر بصفة عامة، وفي المدح بصفة خاصة، وشاع الترف بين الناس، وأقبلوا على الملذات، فالتف الشعراء حول الملوك والأمراء يذكرون فضائلهم مقابل الخلع والهدايا. وقد لعب هذا الوضع دورا هاما في تضاعف الإنتاج الأدبي في هذا العصر فنُظم في المدح قصائدٌ لم يسبق للعرب عهد بها، وطرأ فيه تغييرات تمس معانيه وأخيلته.

أمّا بناء القصيدة فقد تطور، وأصبح من الشعراء والنقاد من يدعو إلى التجديد، ومن يدعو إلى المحافظة على القديم.

ومهما يكن من أمر فإن المديح في العصر العباسي كان ثريا من الناحية الفنية « *وهذه الثورة تتجلى في الغنى الفكري الذي بثوه في أشعارهم، والرؤى التي انكشفت لهم، واللوحات المختلفة التي عرضوها في مدائحهم*».([2])

ومن جهة أخرى كان المدح صورة تاريخية للتقدم الفكري ونضارة الحياة والثورات وما إلى ذلك، ومن أشهر المداحين في هذه الفترة **أبو نواس، وابن الرومي، وبشار بن برد، وأبو الطيب المتنبي** وغيرهم.

([1]) المصدر نفسه، ص150.
[2] () فـنّ المديح، مصدر سابق، ص201- 202.

وإليك، كنموذج من المدح في هذا العصر، مقتطفا من القصيدة التي قالها أبو تمام في مدح المعتصم بعد فتح العمورية.

السيف أصــدقُ أنـــباء مــن الكتب
فــي حَـــــدِّه الحدّ ُ بين الجـد واللعـب([1])
بيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائفِ في
متونِهــــن جــلاءُ الشـــك والـــريب([2])
والعلــمُ في شهب الأرماح لامعـــــة
بين الخميسين، لا في السبعة الشهب([3])

إلى أن قال :

تدبيــرُ معتصـــــم ٍ باللــه منتـقـــــم
لله، مـــرتقب، فـــي الله مـــرتغــــب
لم يغز قوما ولــــم ينهض إلى بلــدٍ
إلاّ تقـــدمه جـــيشٌ مــــن الــــرعب
لو لـــم يقد جحفـلا يـوم الوغى لغزا
مــن نفسه وحدَها فــي جحفـل لجب([4])
رمـــى بك الله برجيـــها فهـــدّمـــها
ولـــو رمـــى بك غيـــر الله لـم يصب
لبّيتَ صوتا زبطـــريّا هرقتَ له
كأس الكرى، ورضاب الخرد العرب([5])

---

[1] () الكتب المقصودة في هذا البيت هي كتب السحر والتنبؤ والتنجيم.

([2]) الصفائح: السيوف. الريب: الشكوك.

([3]) الخميسين: الجيشين الكبيرين.

[4] () الجحفل: الجيش الكثير العدد والعدة. الوغى: الحرب. اللجب: الذي له ضجيج وهياج.

([5]) منسوبا إلى زبطرة. والشاعر يشير هنا إلى حادثة المرأة التي صاحت: وا معتصماه. هرقت: صببت على الارض من غير أن تبالي. الكرى: النوم اللذيذ. الخرد: الفتيات العذارى. العرب: ج عروب وهي المرأة المحبة لزوجها.

عداك حرّ الثغور المستضامة عن
برد الثغور وعـن سلسالـها الحصب([1])

o o o

وهكذا ظل المدح حتى جاء أبو الطيب المتنبي، فمال إليه وساهم في إعطائه بعدا آخر بشخصيته الفذة، وموهبته الشعرية النادرة.

[1] () راجع التبريزي، **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي** ، تحقيق: محمد عبده عزّام، (مصر: دار المعارف، بدون تاريخ) ، ج1، ص45 وما بعدها.
عداه عن الشيء: صرفه عنه. الثغور الأولى: ج ثغر وهي المدينة القائمة على الحدود. والثغور الثانية: ج ثغر وهو الفم. سلسالها: ريقها الطيب العذب، وهو في الأصل الماء الذي يجري فوق الحصى، فيكون عذبا صافيا.

الفصل الثاني: أسباب ميل المتنبي إلى المدح

المدح وسيلة من وسائل التعبير استخدمه الشعراء للإعراب عن مشاعرهم، وما يجول في قرائحهم. وقد كان السبب الأول الذي دفع الشعراء إليه في الجاهلية الإعجاب بالفضيلة، والسعي إلى بلورة المثل العليا، والصفات الفاضلة، ولكن الأمور تغيرت مع مرّ العصور فأصبح الشاعر يفرغ للمدح لا لشيء إلاّ لأنه يريد أن يجد ما يسدّ به حاجاته، وأصبح فنّ المديح حرفة كالبيع والفلاحة والتعليم. وكان هناك أغراض أخرى أغرت الشعراء بالمدح، وهذه تختلف من شاعر لآخر ومن بيئة لأخرى.

ولنرجع إلى شاعرنا لنحاول دراسة الأسباب التي دفعته إلى مزاولة الشعر بصفة عامة والمدح بصفة خاصة.

المبحث الأول: التكسب؟

كان الشاعر الجاهلي يمدح بصفة عامة ردّا على الجميل، أو للثناء على المثل العليا، والمناقب السامية، كما قال ابن رشيق:« *كانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلاّ بالشكر إعظاما لها*» ([1]) فكان الشاعر يثني على الجميل الموجه إليه بالمدح يشكر به فاعله، كما يشكر الإنسان العادي المحسن إليه بالشكر والأقوال الحسنة. فكانت الهدية تأتي قبل المدح لا العكس، ولكن مع مر العصور وتقرب الشعراء إلى الملوك والأمراء الذين كانوا يرغبون في أن يذكر محاسنهم لإعلاء شأنهم، تغيرت الأشياء رأسا على عقب، وأصبح الملك يخلع على الشاعر ليمدحه، وأصبح بعض الشعراء يتفرغون للملوك والأمراء يمدحونهم في كل مناسبة مقابل العطايا والهدايا والخلع، ومن ثم أصبح الشعر أداة للتكسب، وسلعة تباع في سوق الكساد.

([1]) العمدة، ج1، مصدر سابق، ص 80.

وقد انتشر التكسب بالشعر في العصر العباسي مع تدفق الأموال، والمنافسة الحادة القائمة بين السلطات في تلك الفترة.

فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل التكسب بالشعر ينقص من قيمته؟
سيكون الردّ على هذا السؤال ردّا باتّا صعبا جدا، وخاصة إذا عرفنا أن المقاييس التي يقاس بها الشعر كثيرة ومتنوعة، وأنها تتغير من عصر لآخر، ومن ناقد لآخر، ومن بيئة لأخرى.

لكن مهما يكن من أمر، فإن المرجع الأول للشعر هو الفن، فهو المتحكم عليه قبل التحكم على أي شيء آخر، وذلك من حيث ألفاظه، وصوره، وأخيلته، وعاطفته، ومجالاته وما إلى ذلك، ولا أظن أن للتكسب بالشعر علاقة وطيدة بهذه الأمور، ولعل الناقد في بحثه عن الجمال الفني للقصيدة لا يأخذ بعين الاعتبار الدوافع الكامنة في نفسية الشاعر، المؤدية إلى نظمها، بل يحكم عليها كما وردت، وكما أنتجها الشاعر محاولا إبداء الطبائع اللفظية والمعنوية منها.

ومن جهة أخرى، نرى أن لمصداقية القول دورًا لا يُستهان به في قيمته عند عامة الناس ـ أو على الأقل عند الذين رُبّوا بالصدق ـ وفي تقديرهم له، وعلى هذا الأساس يكون أكثر الشعر تقديرا عندهم أقربه إلى الصدق. وإذا نظرنا إلى التكسب بالشعر في هذا الجانب يكون دافعا هاما لعدم مطابقة الأقوال للواقع، إذ يدفع الشاعر حب إرضاء الممدوح إلى مدحه بما ليس أهلا له، فيجعل من الشخص الدنيء أكبر قدوة في الصفات الحميدة، ويجعل البخيل سخيا، والذليل مجيدا، والصغير عظيما وهكذا. ولعلّ الشاعر في هذه الحالة يحسن من الناحية الفنية ويسيء من الناحية الأخلاقية، ومن ثم يكون التكسب بالشعر نقيضة من تلك الناحية. وعلى هذا الأساس أرى خير الشعر وأحسنه ذلك الذي يجمع بين الجمال الفني والخلقي إذ يكون نافعا من عدّة وجوه، ولستُ من الذين يؤيدون الرأي القائل :" أحسن الشعر أكذبه".

فلنرجع إلى شاعرنا، لنتساءل هل زاول حرفة المدح وتكسب بشعره أم هو من تلك الطائفة النادرة من الشعراء الذين يرون أن الشعر أكبر من أن يكون أداة كسب، وسلعة في سوق الكساد؟.

فهذا السؤال أيضا لا يقل صعوبة من الأول، ولكن أرجح الآراء رأي هؤلاء الذين يقولون إن المتنبي زاول حرفة المدح، وتاجر بشعره كما قال سليم عبد الأحد :« *وغريب أن شاعرا فذا كأبي الطيب المتنبي لم يسلم من هذه النقيضة [أي نقيضة التكسب بالشعر] إذ لم ينزه قلمه عما يجب أن تعف عنه النفس، بل وقف قريحته على مدح الأمراء والأغنياء طمعا في نوالهم، فإذا أجزلوا له النوال أجزل لهم الثناء، وإذا طووا عنه الكشح قلب لهم ظهر المجن وسلقهم بألسنة حداد*» ([1])

ومما لا شك فيه أن المتنبي كان محبا للمال، حريصا عليه كل الحرص يراه مصدر كل مجد ورفعة، كما قال:

فلا ينحلل في المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذي المجد كفه
إذا حارب الأعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده ([2])

ولربما دفع المتنبي هذا الحرص على الثروة والرفعة، إلى استخدام السلاح الوحيد الذي كان يمتلكه للوصول إليهما معا، أضف إلى ذلك أن المتنبي نشأ من أسرة فقيرة، والده سقاء، ولم أجد في كتب التاريخ حرفة مارسها الشاعر بنفسه،

([1]) راجع المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص79 وما بعدها.
([2]) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م2، مصدر سابق، ص315.

فكان طبيعيّا أن يستخدم ملكته الشعرية ليجد ما يسد به حاجاته، ويجد مقابل القصائد الرائعة التي كان يلقيها جزاء وراتبا، كما قال لسيف الدولة:

أجـزنــي إذا أنشــدت شعـــرا فإنمـــا
بشعـــري أتـــاك المـــادحون مـــردّدا([1])

ولكني لا أثبت هذا الرأي إلاّ مع كثير من الاحتياط والتحفظ، إذ إنّ المتنبي رحل عن سيف الدولة وعضد الدولة وغيرهما من الأمراء، مع أنه كان يجد عندهم عطايا جزيلة، وأموالا طائلة حتى قال في سيف الدولة :

تركتُ السّرَى خلفي لمن قلّ مَالُـه وأنعلتُ أفراسِي بنُعْمَاك عَسْجَـدا([2])

فإذا غادر من أنعل أفراسه ذهبا، ولم يكفّ هذا الأخير عن العطاء، فذلك يجعلني أظن أنه كان يمدح لشيء آخر غير المال والجزاء، أضف إلى ذلك أنه استعلى عن مدح أناس مع كل ما كانوا يتمتعون به من الثراء والغنى، فهو إذن، وإن تكسب بالمدح، فقد مال إليه لشيء آخر، ولعل ذلك هو الإمارة!!.

المبحث الثاني: الإمارة والولاية؟

فلا يخفى على أحد كون المتنبي شاعرا طموحا إلى أقصى غاية الطموح، يريد من الدهر أن يبلغه ما ليس يبلغه، ولا يرضى أبدا بميسور حاله، كما قال:

وفي الناس مـن يـرضى بميسـور حالـــه
ومـــركوبـه رجـلاه والثـوب جلـده
ولكـــن قلبـــا بيـــن جنبـــي مـــا لـــه
مـدى ينتـــهـي بـي في مراد أحـــده([3])

ولعل تحقيق هذا المراد، الذي أرجح أنه العظمة والسيادة، هو الذي دفعه إلى التنقل في البلاد، ومصاحبة الملوك والأمراء، كما يلمح بذلك في قوله:

([1]) المصدر نفسه، ص184.
([2]) المصدر نفسه، ص185.
([3]) المصدر نفسه، ص315.

يقولــون لي ما أنت فــي كـل بلـــدة
ومـــا تبتغــي؟ ما ابتغي جلّ أن يسمى
إذا قل عزمي عـن مـدى خوف بعده
فأبعـــد شــيء ممكـن لـم يجد عـزما
وإنـــي لمـــن قـوم كــأن نفــوســـهم
بـــها أنـــف أن تسكـن اللحـم والعـزما([1])

وقد سعى المتنبي حياته كلها لتحقيق مطالبه، كلما طرأ بأرض وحيل بينه وبينها، تركها قاصدا بلدة أخرى. وهكذا وصل إلى مصر بعد أن رحل عن الأمير سيف الدولة الحمداني- كما مر بنا- .

وقد تعرض بمقصده في مصر حينا، وصرح به تصريحا لا يضع مجالا للشك حينا آخر.

ومن باب التلميح والتعريض ما قاله في أول قصيدة مدح بها كافور حيث يقول:

وغـيـرُ كـثيـر أنْ يَـزُورَك رَاجـــلٌ
فيَـرجعَ مَـلْـكـاً للعِـرَاقـَين واليـَا([2])

وقوله:

ومـــا رغـبَـتِـي فِـي عَـسْجَـدٍ أستـَفِـيدُهُ
ولكـنّـها فــي مَـفْـخَـر أسْـتـجِـدُه ([3])

أي في الحصول على كرامة ومفخرة وسيادة.

وقوله:

وَهَـلْ نـَافِعِـي أنْ تـُرفـَعَ الحُجبُ بَـيْـنـَنـَا
ودُونَ الــذي أمَّـلْتُ مِـنْـكَ حِـجَـــابُ

([1]) المصدر نفسه، م1، ص346- 347.
([2]) المصدر نفسه، م2، ص299.
[3] () المصدر نفسه، ص320.

وَفِــي النَّــفس حَاجَاتٌ وَفِـيكَ فـَطـَانـَةٌ

سُكـُـوتِـــي بَـيَــانٌ عِنْـدَهَــا وَخِطـَـابُ([1])

ولعل سكوته لم يكن إلا بيان تلك المحبة الشديدة في الولاية والحكم، كأن لسان حاله يقول: لم لا أحكم وقد رأيتُ من الأمراء من لا يستحق الإمارة أكثر منّي، لِمَ لا أحكم في بلدة عرب تحكمها عجم، لِمَ لا أحكم وفؤادي من فؤاد الملوك، كما قال:

فارم بي ما أردت مني فإني أســـد القـــلب آدمـي الـرواء

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يرى مـن الشعـراء([2])

ولكن كافور بفطنته لم يرد أن يروي ظمأ الشاعر، بل وعده وخيّب رجاءه، فتألم الشاعر ألما شديدا، وصرح برغبته بعد الكناية والتعريض، فقال:

أبا المسك هل في الكأس فضــل أنــالُـه

فإنّي أغـَنـِّـــي مُـنـــذ حِيـــن وتشــرَبُ

وقال في القصيدة نفسها:

إذا لــمْ تـَنـُـطْ بِــي ضَيْـعَــةً أوْ ولايــــةً

فـَجُــودك يكسُــونِــي وشُغــلـك يسلـــبُ([3])

فلا يماري اثنان بعد ذلك في كون المتنبي طالبا للولاية عند كافور، ولم يكن له من الوسائل إلا الشعر فاستعمله للوصول إلى مطلبه، كما قال أحمد أمين في المتنبي:« *طلب الملك والملك يحتاج إلى مال، فطلبه بشعره ، ولكن لم تذل أبدا نفسه كما ذلت الشعراء، فكان يرى أنه يعطي لممدوحه أكثر مما يأخذ منهم، فهو يمنحهم شعرا خالدا، وهم يمنحونه عرضا زائلا* » ([4])

([1]) المصدر نفسه، ص357.
([2]) المصدر نفسه، ص305.
([3]) المصدر نفسه، ص338.
([4]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص21.

وذلك أيضا ما يشير إليه الأستاذ أحمد محرم في القصيدة التي رثى فيها المتنبي بذكرى ألف عام بعد وفاته، حيث يقول:

رُمْتَ " الولاية" بالقريضِ، وإنه
لك فِي النّفوس ولايَةٌ مَا تصرَف
المضحكات بمصر حيث رأيتها
وأرى "الثعالب" مثل عهدك تزحف
نظمت بدائعك المواكب فخمة
ومشت تغنى في البلاد وتعزف
اليوم تنصفك الدهور وما لنا
غير الدهور لدى الحكومة منصب([1])

فهو يرى أن الشاعر طلب الولاية بشعره، وإنه وإن لم يحقق مأربه في ولاية يحكمها، فله في نفوس الناس منزلة أعلى من منزلة الولاية لما يقدرونه، ويعتنون بشعره من العناية التامة التي جعلته خالدا في النفوس، يحتل في" حكومة" التاريخ منصبا عاليا، ومنزلة سامية.

ولكن المتنبي، وإن كان قد طلب الحكم بالقريض، فلا أرجح أنه طلب الولاية حبا في الحكم فحسب، وإنما كان يقصد المجد الذي وراء ذلك، والمفخر الذي يستجده منه، فلا يريد أن يكون حاكما ذليلا، أو مهانا. ولعله لو وجد شيئا غير الحكم قادر على تحقيق الرفعة له لسعى إليه.

المبحث الثالث: المجد والعظمة؟

فلا يماري اثنان في همة أبي الطيب المتنبي العالية، وطموحه الشديد، فلم يكن ذلك الشاعر الذي يتذلل أمام الأمراء ليخلعوا عليه، بل كان أبيا يرى الأمراء نظراءه، فتعامل معهم معاملة النظير للنظير، إذ كان يعتبر أن ما يعطيهم خالد

[1] () المصدر نفسه، ص17. وقد ذكر البيت الأخير مع قافية بائية، والقصيدة فائية.

باق، وما يخلعون عليه زائل فان. وكما قال **سامي الكيالي** في مقاله حول "عبرة الشباب: لمحة عن المنازع القومية في المتنبي" : « *وفرقٌ كبير بين الشاعر الذي يرتمي بين أعتاب ممدوحيه ضعيف النفس ذليلها، وبين الذي يرسل شعره فوق النفس عزيزها، ويعلن عن شخصية لها طموحات ورغبات لا حد لها ولا أمد*» ([1])

وقد كان المتنبي من هؤلاء الذين يتوقون إلى المجد والعظمة، ويسعون إليهما مهما كلفهم ذلك، كما قال:

وفي الناس مـن يـرضى بميسـور حالــه
ومـركوبـه رجـلاه والثـوب جلـده
ولكــن قلبــا بيــن جنبــي مــا لــه
مـدى ينتـهـي بـي في مراد أحــده([2])

وقال أيضا:

ذريــني أنــل مــا لا ينــال مِــنَ العُــلا
فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تــريــديــن إدراكَ المَعَـالِـي رَخيــصةً
ولا بــدَّ دون الشهــد مــن إبَـر النَّـحــل([3])

والأمثلة كثيرة أكبر من أن تحصى فخذ أية قصيدة من الديوان أو أية صفحة لتجد فيها ما يدلك على طموح الشاعر الشديد، وعظمته النادرة.

ولعل ذلك مما يدل على أن الشاعر لم يكن يرى المدح غاية لذاته، بل اتخذه وسيلة للوصول إلى ما كان يبتغيه، وربما كان أهم ما يبتغيه العظمة والمجد؛ فاستعلى على مدح غير الأمراء، وهجر من انقطع لهم من الملوك كلما وجد

[1] () راجع المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص 38.
[2] () العرف الطيب، م2، ص315.
[3] () المصدر السابق، ص413.

ما يقوم حائلا دون كرامته ومجده. ويؤكد ذلك **عبد الرحمن صدقي** في مقاله حول "**جنون العظمة في المتنبي**: مرض نفسي" حيث يقول:« *لكن الشعر لم يكن قط عرضا لذاته، وإنما كان هَمّ الرجل في العظمة، فهو يطلبها عن طريق الشعر، كما يطلبها عن غيره. ولقد تنازعه الشك في جدوى القريض وهو في أول الطريق فتردد في المضي فيها لامترائه في أنها مؤدية إلى ما يبتغيه" ما يبتغي جل أن يسمى" وقام أن يعدل عن حياة الدرس، ومزاولة الشعر إلى خوض المكاره والمغامرة والحروب* » ([1])

وفي ذلك يقول:

أفكر في معاقرة المنايا
وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم للقنا الخطى عزمي
بسفك دم الحواضر والبوادي
إلى كم ذا التخلف والتواني
وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي
ببيع الشعر في سوق الكساد([2])

فهو يرى أن المجد هو كل شيء في الحياة، فالسعيد من عاش عزيزا، والسعيد من عاش أبيّا، والسعيد من عاش عظيما. ومهما كانت الوسيلة التي يستخدمها الإنسان ليصل إلى المعالي فهي خير، سواء كانت هذه الوسيلة بجمع المال كما قال:

ولا ينحلل في المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده ([3])

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص 64-65.
([2]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص208- 209.
([3]) المصدر السابق، م2، ص315.

أو كان بالملك، كما سعى إلى ذلك عند كافور

وغيـــر كثيـــر أن يـــزورك راجـــــلٌ

ويـرجـع ملـكا للعـراقيـن واليـَـا([1])

أو بغيرهما من الوسائل، فالأمر كما قال:

فاطلب العِزَّ فـي لظـى وذَرِ الذ

لَّ وَلو كَان في جناتِ الخلود([2])

ومن هنا نرى أن غاية المتنبي الأسمى كانت المجد والسيادة والعظمة، ولكن الوسائل التي استخدمها للوصول إليها اختلفت حسب فترات حياته، فكانت الشعر في شبابه، ثم الثروة بعده، ثم الشجاعة والكفاح، وأخيرا طلب الحكم في آخر طور من حياته، وربما جمع عدة وسائل في آن واحد في فترة من حياته.

[1] () المصدر السابق، ص299.

[2] () المصدر السابق، م1، ص115.

الفصل الثالث: أشهر ممدوحي المتنبي

المبحث الأول: سيف الدولة الحمداني

1. من هو سيف الدولة؟

هو سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان، ولد في يوم الأحد **17** من شهر **ذي الحجة** سنة **ثلاث وثلاثمائة** هـ ([1]).

وقد كان شجاعا، مشهورا بالكرم، والذكاء، ورجاحة العقل، وقد استطاع بذلك إقامة دولة عربية قوية في الفترة التي كانت السيادة الفعلية فيها على يد الأتراك والعجم يتلاعبون بها. وقد أقام هذه الدولة في شمال الشام، وجعل مدينة حلب مقرا لها، وتولّى ولايتها ما بين سنة **333**هـ وسنة **356**هـ ([2])؛ وهي فترة تاريخية مضطربة من الناحية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية كما مر بنا، وقد استطاع خلالها الدفاع عن الأراضي الإسلامية ضد الغارات الرومانية، كما استطاع من جهة أخرى الدفاع عن مملكته ضد الغارات الداخلية. ([3])

وكان سيف الدولة إلى جانب شجاعته، مثقفا محبا للعلم والأدب، وبالتالي تمكن أن يخلق جوّا علميّا وثقافيّا ناضجا في بلاطه. ويُروى أنه ما اجتمع في بلاط ملك أو أمير مثل ما اجتمع في بلاطه من العلماء والأدباء والمثقفين؛ فما رأيك في بلاط فيه الفارابي، وابن خالويه النحوي، وأبو فراس الحمداني، والزاهي، والسرّي الرفاء بن أحمد الكندي، وأبو بكر الصنوبري، وأبو الفرج الببغاء، والنامي، والمتنبي وغيرهم!!!

([1]) وفيات الأعيان، مصدر سابق، ص401.
([2]) راجع المتنبي حياته وشعره، ص56.
([3]) راجع كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص 81.

وتوفي هذا الرجل العظيم بحلب في يوم الجمعة **لخمس** بقين من **صفر** سنة **ست وخمسين وثلاثمائة**([1]).

2. سبب انقطاع المتنبي لسيف الدولة:

اتصل المتنبي بسيف الدولة عند أبي العشائر بأنطاكية كما أسلفنا، ومن ثم رافقه إلى حلب، وانقطع لمدحه مدة تسع سنوات لم يمدح فيها غيره ـ كما مر بنا ـ. فيجدر التساؤل عن الأسباب التي دفعت شاعرا مغرورا ومتكبرا كالمتنبي إلى التفرغ لأمير واحد طوال هذه الفترة؟

فأول ما يتبادر إلى الذهن في الرّد عن هذا السؤال هو التكسب ولكني لا أظن ذلك السبب الرئيس في ذلك، وأرجح أنه تفرغ له لأشياء كثيرة منها:

أ) **التقارب في السلوك والمقاصد**:

مما لا شك فيه أن المتنبي وجد ضالته المنشودة في الأمير؛ فقد وجده تربا له، ووجده أميرا عربيّا، متعصبا للعرب مؤيدا القومية العربية، وكان الشاعر هو الآخر داعيا إليها، ومتعصبا للعرب تعصبا لا تقل أهمية من تعصب الأمير ، وهذا ما دفعه إلى القول :"ولا يفلح عرب ملوكهم عجم".

وقد كان الأمير علاوة على ذلك شجاعا مغوارا مقداما، ومناضلا كبيرا، ولعل ذلك أيضا زاد من شوق الشاعر إليه لأنه كان ـ مع شاعريته- شجاعا، يفتخر بالشجاعة ويراها مصدر كل مجد ورفعة كما قال:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلاّ السيف والفتكة البكر([2])

أضف إلى ذلك كون الأمير مثـقفا، وأديبا يقدر العلم والأدب حق قدرهما، ويهيئ لهما الجو المؤدي إلى بلورتهما. فكان الشاعر- فيما أرجح- قد وجد في هذا الأمير، وفي هذه البيئة ما يلائمه، فأحبهما حبا شديدا لم يقدر على كتمانه، فصرخ قائلا:

([1]) وفيات الأعيان...، مصدر سابق، ص405.
([2]) العرف الطيب، م1، ص370.

ما لي أكتم حبا قد برى جسدي   وتدعي حب سيف الدولة الأمم[1]

ولعل الشاعر أحب الأمير على بعد، كما يثبت ذلك الناقد طه حسين، فمدحه قبل أن يتصل به سنة **321** هـ [2] بميمية مطلعها:

ذكر الصبا ومراتع الآرام   جلبت حمامي قبل وقت حمامي[3]

ومهما يكن من أمر، فقد اتصل المتنبي بسيف الدولة، وبرر سبب اتصاله به بصفاته النبيلة، ومزاياه الكثيرة التي وجدها " بلا واصف"، فقال في القصيدة الأولى التي مدحه بها:

غضبتُ له لما رأيتُ صفاتِـــهِ   بلا واصف والشعرُ تهذي طـَماطِمه[4]

فازدرى في أول وهلة بمن كان في بلاط الأمير من الشعراء، ونعت شعرهم بالركاكة والسوقية، وجعل نفسه الشاعر الوحيد الجدير بذكر أمجاد الأمير وصفاته كما ينبغي، والقادر على ذلك.

ويؤكد حب المتنبي للأمير من جهة أخرى تألمه بمفارقته في مصر، وغناؤه الشديد الذي كان يعرض به ذلك الشوق إلى لقاء سيف الدولة من جديد، ويدخل في ذلك قوله:

إذا أردت كميت اللون صافية   وجدتها وحبيب النفس مفقود[5]

وقوله:

حبَبْتـُـك قلبي قبلَ حُبـّكَ مِن نأي   فقد كان غدّارا فكـُنْ أنتَ وافيا[6]

ومجمل القول أن الشاعر، لم يتصل بالأمير ولم يمكث عنده هذه الأعوام التسعة إلا لأنه أحبه، ووجد فيه ضالته المنشودة، ومثله الأعلى من كرم، وعظمة،

---

[1] المصدر السابق، م2، ص118.

[2] راجع طه حسين، مصدر سابق، ص168.

[3] العرف الطيب، م2، ص268.

[4] المصدر السابق، ص11.

[5] المصدر السابق، ص397.

[6] المصدر السابق، ص295.

وشجاعة وما إلى ذلك. ولربما كان هناك أشياء أخرى ساهمت في ذلك كقبول الأمير لشخصية الشاعر والهدايا وغيرها.

ب) قبول سيف الدولة لشخصية المتنبي:

إن للمتنبي شخصية فذة تختلف كثيرا عن شخصيات الشعراء الذين كانوا يتفرغون للملوك والأمراء؛ فقد كان أغلبهم يتقدمون أمام الأمير أذلة، متملقين لا يسعون إلا إلى ما يرضيه، يحبون لحبه، ويبغضون لبغضه، طموحاتهم تتوقف على إرضاء الأمير مقابل الخلع والهدايا، والمكانة الرفيعة عنده. ولكن المتنبي كان شاعرا من جنس آخر، ومن طينة أخرى، له شخصية لا يكاد ينساها، ولا يتناساها، يأبى إلا أن يبرزها مهما تأزم الموقف، لأنه هكذا، كما قال:

وإني لمن قوم كأن نفوسنا بها أنف أن تسكن اللحم والعظما([1])

ولا يخفى على أحد، الغيرة الشديدة التي تغمر الملوك والأمراء، وغطرستهم العظيمة، فلا يبغضون على أحد غضبهم على من يكاتفهم أو يعاضدهم، ولكن في هذه المرة النادرة رأينا هاتين الشخصيتين المختلفين تعيشان جنبا لجنب، ولمدة طويلة. ولربما يعود ذلك إلى أن إحداهما أرسلت نفسها على غير سجيتها، فقبلت ما لم يكن من عادتها أن تقبل، ولعل ذلك الشخص هو الأمير؛ فقد استقبل الشاعر بكل حفاوة، فاشترط له هذا الأخير أن لا يقبل الأرض، وأن لا يمدحه إلا جالسا فقبل له ذلك. وخص له عنده منزلة رفيعة أدت إلى تألب الشعراء عليه، والكيد له، وإلى جانب ذلك تركه يفتخر بنفسه كلما مدحه، ويعاتبه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فأي أمير يقبل شاعرا يقول له:

يا أعـدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم([2])

أو أن يقول أمامه:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خيـر مـن تسعى له قـدم([3])

([1]) المصدر السابق، م1، ص347.

([2]) راجع المصدر نفسه، م2، ص 120. أي إنما أخاصم فيك وأنت خصمي في هذه المخاصمة، وأنت الحاكم فيها، وإذا كان الخصم هو الحاكم فكيف ينتصف منه.

([3]) المصدر السابق، ص120.

ومن ثم يمكن القول بأن سيف الدولة لعب دورا كبيرا في مكوث الشاعر عنده، ولربما كان ذلك لحاجته الماسة إليه، ولكن المتنبي إن آثر البقاء عنده إضافة إلى ذلك كله، فلجود الأمير وكرمه.

ج) **الهدايا والخلع**:

كان المتنبي كغيره من الشعراء، وككل إنسان في حاجة إلى ما يسد به حاجاته ليدفع عن نفسه ذل السؤال. فقد نشأ من أسرة فقيرة ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك- ولم يكن أمامه من الوسائل إلا تلك الموهبة في قول الشعر، فكان طبيعيا أن يجد مقابل هذه القصائد شيئا يسد به قوت يومه، وقد وجد ذلك عند سيف الدولة.

فقد كان سيف الدولة سخيا جوّادا يعطي الشاعر ثلاثة آلاف دينار بثلاث قصائد سنويا، علاوة على الهدايا والخلع، مما دفع الشاعر إلى القول:

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا([1])

فهذه العطايا وإن لم تكن المقصد الأعلى للشاعر عند الأمير، فقد كانت لها خطورتها في بقاء الشاعر عنده. ولا يخفى على أحد كون الشاعر محبا للمال إضافة إلى أصله الوضيع فكان اتصاله بالأمراء بصفة عامة، وبسيف الدولة بصفة خاصة سبيلا له إلى الارتقاء السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

3. مدائحه لسيف الدولة:

كان المتنبي عندما اتصل بسيف الدولة الحمداني قد جاوز الثلاثين من عمره، فكان قريبا من النضج العقلي والفكري، وقد وجد عنده إضافة إلى ذلك حياة ثقافية ناضجة مع زمرة من العلماء والأدباء، فكان طبيعيا أن يرتقي شعره في هذه البيئة إلى النضج الفني والمعنوي.

([1]) المصدر السابق، ص185.

يتميز شعر المتنبي عند سيف الدولة بالغزارة ، فقد قال في ممدوحه أكثر من **ثمانين** قصيدة ومقطوعة في **تسعة** أعوام، وهذا المقدار كاد يشكل ديوانا بنفسه كما أشار إلى ذلك طه حسين([1]).

ومن الناحية الفنية يتميز هذا الشعر بالجودة والروعة، فقد بلغ الشاعر ذروته في الشعر، وتمكن من اتخاذ أسلوب خاص به بعد ما كان مقلدا للقدماء أمثال البحتري وأبي تمام، فأصبح مبتكرا لأسلوب جديد هو أسلوب المتنبي نفسه، وفي ذلك يقول طه حسين :« *إنه ملك ناصية الفن حقا وجعل يتصرف بألفاظه ومعانيه كما يتصرف بها الفحول، وأثبت شخصية قوية واضحة وممتازة من غيرها، وأصبح مرآة لنفسه لا لأبي تمام، ولا للبحتري*» ([2]).

وقد بلغ الجزالة في ألفاظه والدقة في معانيه، ولكنه كان يعتريه الغرابة أحيانا، غرابة تعمدها ربما لتعجيز اللغويين الذين كانوا في حاشية الأمير، أو لإعلاء قصائده، من جهة أخرى، عن السوقية.

ومهما يكن من أمر، فقد نضج شعر المتنبي في هذا الطور وتنوع، فعالج أغراضا كثيرة كالوصف والغزل، والمدح، والعتاب، والرثاء، ولكنه تناول غرضا جديدا وبرع فيه، وهو الشعر الملحمي في وصف حروب سيف الدولة التي كان يشهدها، وفي هذا الشعر يقول شوقي ضيف:«*ومدائحه لسيف الدولة تعدّ من الذروة لا من شعره وحده، بل من الشعر العربي عامة، فقد صوّر فيها وقائعه وحروبه تصويرا تشيع فيه البهجة بالنصر، والاعتزاز بالعرب والعروبة، ونحس كأن نفسه لان* »([3]).

([1]) مع المتنبي، مصدر سابق، ص169.
([2]) المصدر نفسه، ص178.
([3]) شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط 9، (مصر: دار المعارف، 1976م) ، ص306-307.

ويقول أحمد محرم في هذا الشعر:

أبقى لسيف الدولة الشرف الذي تــرك السيــوف مشــوقــة تتشــوق

شــرف تحلــفَ بعــده، فكأنــه بــاق علــى طــول المدى متخلف

نجاه من غــول الفــناء، فهــذه دنــياه مــونــقــة تــرف وتنــظــف

إنـزل بساحتــه، فتــلك ثــمارها تجني بأيــدي الراغبــين وتــقطــف

المــلك أفيــح، والجنود مغيــرةوالخيل تصـهل، والقواضب ترعف

والفتح غاد في اللــواء ورائـــح لا أنت تخــطــئه ولا هــو يخلــف[1]

المبحث الثاني: كافور الإخشيدي

1. من هو كافور؟

هو كافور بن ينعقد الإخشيدي. ومما يذكر كتب التاريخ من هذا الرجل أنه كان عبدا خصيّا من موالي أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد. ومما لا شك فيه أنه لم يكن عبدا عاديا، وإنما كان عبدا فطنا ذكيا، ولعل ذلك مما دفع سيده على توليته قائدا في الجيش، ويروى أنه انتصر على سيف الدولة الحمداني في إحدى حروبهم سنة **333هـ** [2]. يقول جورج حسن معلوف فيه :« *أن كافورًا لم يكن ذلك العبد الخصيّ فحسب، بل كان ذا ذكاءٍ ودهاءٍ وحزم ولولا ذلك لما تمكن من القيام بأعباء الملك زهاء ثلاث وعشرين سنة*».[3]

ويذكر حنا الفاخوري أنه تفرد بالحكم لما توفي سيده عن ولد صغير ، فانتزع كافور الحكم منه واستبد به. [4]

وقد تولى كافور تدبير الحكم في مصر ما بين سنة **334** هـ - **357 هـ** . وقد كان، كما سبق الإشارة إلى ذلك، ذكيا وطموحا، وكان إلى جانب ذلك محبا للعلم

---

[1] راجع المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص 16 – 17.

[2] راجع مقال محمد شوكت التوني: أبو الطيب في مصر نبي في بلاد الوحي لا يوحى إليه، المتنبي حياته وشعره، ص49.

[3] راجع مقال جورج حسن معلوف، نظرات في المتنبي مكتبة المشكاة، مصدر سابق ص7.

[4] راجع تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، مصدر سابق، ص602.

معتنيا به وبأهله، وعلى هذا الأساس سعى إلى استقبال أبي الطيب المتنبي في ولايته مصر.

2. سبب انقطاع المتنبي لكافور

مما لا يخفى على أحد أن المتنبي، لم يكن ليذهب إلى كافور لو لم يكن هذا الأخير قد طلب منه ذلك، ولم يكن أيضا ليترك سيف الدولة إلاّ لخيبة أمله عنده، وتوهمه أنه لا يمكن أن يحقق له كل ما يرضى في الحياة، أضف إلى ذلك المنافسة الحادة التي كانت قائمة حوله مما أدى إلى تألب الشعراء عليه و الوشاية به لدى الأمير.

وهكذا ارتحل المتنبي عن حلب، وتوجه إلى مصر حيث كافور ذلك الخصي الذي كان يلح على استقباله عنده. ولا يماري اثنان في كون المتنبي راغبا في الحكم عندما كان زار مصر، فهو إذن لم يتفرغ لكافور لأنه أحبه، بل بالعكس كان يكرهه في كامن ضميره، يكرهه ويزدريه، ولكنه كان ينتظر منه تحقيق مأرب طال ما سعى له، وهو الولاية والحكم، كما قال خليل مطران في مـقال له حول : " أبو الطيب المتنبي كان عبقريا ولكن....." :« *إنما كان السبب فيما اعتـقدت، أنه رأى مطمعه لدى سيف الدولة قد حد بحد لا سبيل إلى مجاوزته، وأن إلحاح الإخشيد في استزارته قد حرك فيه أقوى عوامل نفسه وهو الطمع، فخيل إليه أن في مصر الواسعة، وعلى رأسها خصيّ فدم غاصب للملك ولاية يستطيع أن يتصيّدها* » .([1])

وهذه الرغبة قد تعرض بها حينا في قصائده، وصرح به حينا آخر، كما أسلفنا، ومن ذلك قوله:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
فإني أغـنّي منــذ حيــن وتشــرب

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص25.

وهـــبت على مقــدار كـفيْ زماننـا

ونفـسي على مقـدار كـفيك تطلب

إذا لـم تنـط لــي ضيعـة أو ولايـــة

فجـــودك يكســوني وشغلك يسلب[1]

ومثل ذلك كثير، ولكن كافورا لم يلتفت إليه، وعده فأخلف وعده، ولم يستجب له حين قال مشيرا إلى سيف الدولة:

حببتك قلبي قــبـل حبـك من نــأي وقد كان غدّارا فكن أنت وافيا[2]

وقد كان أثر ذلك كثيرا في حياة المتنبي في مصر، فزاده ألما على ألم، فأثر ذلك بالتالي في شعره في مصر.

3. شعره في مصر

كان الشاعر عندما قصد كافورا قد بلغ كماله الفني منذ عهد بعيد، وإنه، وإن مدح كافورا على كره، فإن ذلك لم ينقص شيئا من روعة قصائده وجمالها. ولكن مدائحه له غير خالصة لأنه كان يخفي البغضاء له، ويزدريه ازدراء لم يسبق له نظير. ومع ذلك كان ينتظر منه أن يحقق له مطمعه فمدحه ورفعه إلى ذروة العظمة والرفعة، فقال فيه في أول قصيدة قاله عنده:

قواصـد كافـور تــوارك غيـــره

ومَــنْ قصدَ البحرَ استقلَّ السواقـيَـا

وقال أيضا:

يدلّ بمعنــــى واحـد كل فـــاخِــرٍ

وقد جمـــعَ الرحمـــنُ فيكَ المعانيا

إذا كســـبَ النـــاسُ المعالي بالنّـدَى

فإنــك تعطــي فِــي نَـداك المعاليَــا[3]

([1]) العرف الطيب، م2، ص338.

([2]) المصدر نفسه، ص295.

([3]) المصدر السابق، ص299.

فقد كاد يرفعه في هذه القصيدة إلى مرتبة الكمال، ولكن سرعان ما بدل هذا المدح هجاء لاذعا ممضا عندما خيّب كافور رجاءه، وتركه في مصر كالحبيس، فقال فيه:

أخذت بمدحه فرأيت لهــوا مقالي للأحيمق يـَا حَلِـيمُ
ولما هجوت رأيــت عيــّا مقالي لابن آوى يـَا لـَئِــيمُ([1])

وهذا أيضا مما يدل على أن المتنبي لم يكن معجبا بكافور، بل مدحه ليحقق له مطمعه، ولذا أكثر في مدحه لأول عهده عنده، فقال فيه في سنة واحدة أربع قصائد، الأولى مطلعها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن تكـن أمانيا([2])

والثانية أولها:

إنــما التهنــئــات للأكـفـــاء ولمــن يدّنــي مـــن البعـــداء([3])

والثالثة أولها:

من الجآذر في زي الأعاريــب حمر الحلى والمطــايا والجلابيب([4])

والقصيدة الرابعة مطلعها:

أود من الأيّـــام مــا لا تــودّه وأشكـو إليــها بيننـا وهْـيَ جنده([5])

كل هذه القصائد قالها سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة لأنه أراد أن يظفر رضا الأمير، وبعد ذلك مدحه بثلاث قصائد في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وبقصيدة واحدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

([1]) المصدر السابق، ص392
([2]) راجع المصدر السابق، ص 294 وما بعدها.
([3]) المصدر السابق، ص302.
([4]) المصدر السابق، ص306.
([5]) المصدر السابق، ص313.

وهذا الشعر قليل إذا قيس بما قال عند سيف الدولة، ولعل ذلك يرجع إلى خيبة أمله، وعدم إعجابه بكافور؛ فقللَ في قول الشعر فيه رغم كون الظروف متيحة للإنتاج، وهذا مما أعجب محمد شوكت التوني فقال في مقاله :" أبو الطيب في مصر: نبي في بلاد وحي لا يوحى إليه" :« *فيا للعجب! كيف تحيا العبقرية في بلاد الوحي ولا تثور ولا تنتج ولا تفيض؟ كيف يعيش البلبل في الروض الأنيق وتحت ضوء القمر ولا يرسل الأغاني صعدا في السماء كالسحر أو أبلغ وقعا؟ كل هذا يفسره أمر واحد وهو أن المتنبي جاء إلى مصر غازيا طامعا مطالبا، ولم يدخلها شاعرا* » .([1])

ومن ناحية أخرى قسم هذه القصائد إلى قسمين القسم الأول له، والثاني لممدوحه، وقد يلمح بسيف الدولة في بعض الأحيان، وهذه القصائد رغم قلتها مختلف ومتنوع تتناول فيها أغراضا متباينة فمدح ورثى وعاتب وهجا...، وإلى جانب ذلك برع في فن جديد، وهو الشعر الوجداني الصادر عن ألمه النفسي.

وفي مصر "استراح" المتنبي ونجا من تلك الأعداء الألدة من الشعراء، ومن تلك الحروب المتتالية، فوجد بناء على ذلك متنفسا للاعتناء بفنه. وعلى هذا الأساس كان شعره في مصر رائعا، ومليئا بالمعاني الفلسفية الخالدة. يقول طه حسين:« *لقد علمت مصر المتنبي الحزن الطويل العميق، والتأمل الذي كان يرمي به إلى الفلسفة، كما علمته الهجاء اللاذع الممض الذي يبقى على الدهر ولا يخلو عن نفع....*» ([2]).

المبحث الثالث: عضد الدولة البويهي

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص51.
([2]) مع المتنبي، مصدر سابق، ص611.

1. من هو عضد الدولة؟

هو أبو شجاع فنا خسرو بن الحسن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي([1]). تسلم الحكم في فارس عندما مرض عمّه عماد الدولة سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة، ويروى أنه أول من خوطب باسم الملك في الإسلام. وكان عضد الدولة أديبا وشاعرا يوثر أهل الفضائل ويمجدهم، وعلى هذا الأساس توجه إليه أكبرُ الشعراء في عصره ومدحوه بقصائد رائعة. وقد استطاع في عصره أن يضم العراق وفارس في دولة موحدة عظيمة انحلت بعد وفاته. وقد توفي سنة **اثنتين وسبعين وثلاث مئة** هجرية موافق سنة **ثلاثة وثمانين وستّ مئة** ميلادية. ([2])

2. سبب انقطاع المتنبي له

عاد المتنبي إلى العراق، بعد أن غادر مصر وأميرَها كافور الإخشيدي، مع قلب كسير وخيبة أمل كبير، وفي هذه الفترة كاتبه سيف الدولة الحمداني يطلب منه العودة إليه من جديد، ولكن المتنبي رغم كونه مشتاقا إليه وإلى مجلسه، لم يرد العودة إليه، لا لأنه غضب عليه، ولو كان الأمر كذلك ما رثى أخته بعد وفاتها ، ولكن لأنه، فيما أرى، كان ينشد إلى شيء كان يظن أنه سيجده في بلدة أخرى، وأنه إلى جانب ذلك لم يكن موقنا بأنه سينجو عند سيف الدولة من الخصوم الذين أخرجوه عنده من قبل.

ومهما يكن من أمر، فقد قصد المتنبي بلاد فارس حيث عضد الدولة البويهي ووزيره ابن العميد وهو يخفي في نفسه أملا طال ما سعى وراءه ، ولعل ذلك الأمل لم يكن إلاّ ما كان ينشده عند كافور، كما يذهب إلى ذلك شوقي ضيف

([1]) راجع العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م2، مصدر سابق ص 444.

([2]) راجع **المنجد في اللغة الأعلام**، ط 21، (بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية ، 1973م) ، ص470.

حيث يقول عن المتنبي : « *رأى أن يذهب إلى فارس وعضد الدولة ووزيره ابن العميد ليحظى عندهما بما فاته عند كافور* » .([1])

ولعله أيضا كان يحب أن يصل إلى أعلى سلطة في الإسلام، بعد أن كان شاعر أمراء في دويلاته، فيصبح شاعر الدولة الإسلامية بعد أن كان شاعر دويلة من دويلاتها، كما نلمح ذلك في قوله في إحدى مدائحه لعضد الدولة حيث يقول:

وقـــد رأيت الملــوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
ومـــن منـــايـاهـم براحـته يأمـــرها فيهـــم وينهاهـا([2])

« *يقول رأيت الملوك كلهم بأجمعهم وسرتُ في الأرض وسافرتُ حتى رأيت أعظمهم الذي يحيى من شاء منهم ويميت من شاء ومناياهم بكفه يصرفها فيهم كيف شاء*».([3])

3. شعره عند عضد الدولة:

مكث المتنبي عند عضد الدولة ثلاثة أشهر أنتج فيها **ستّ** قصائد ومقطوعة وأرجوزة:

مدحه عند قدومه إليه بشيراز بقصيدة أولها:

أوه بـــديل مـــن قولـتي واهـا لمن فـــأت والبديـل ذكـــراها([4])

ثم مدحه بنونية وصف فيها شعب بوّان مطلعها:

مغاني الشعب طيب في المغاني بمنزلة الربيع مـــن الزمـــان([5])

ومدحه بعد ذلك بلامية ذكر فيها وقعته مع وهشوذان أولها:

أثلـــث! فـإنّـا أيّـــها الطـــلل نبكي وترزم تحتـــنا الإبـــل([6])

([1]) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص308.
([2]) راجع العرف الطيب...، م2، مصدر سابق، ص447.
([3]) راجع **الديوان شرح الواحدي**، مكتبة المشكاة، موقع الإنترنت: www.almeshkat.net، ص882.
([4]) راجع العرف الطيب، م2، ص 444 وما بعدها.
([5]) المصدر السابق، ص452.
([6]) المصدر السابق، ص460.

ثم أردفها بقصيدة ذكر فيها هزيمة وهشوذان أولها:

أزائــر يــا خيال أم عـــائــد أم عنــد مولاك أنّنــي راقـــد([1])

وقال في عضد الدولة يصف الورد التي نثرها عليهم في يوم من الأيام ميمية مطلعها:

قـد صدق الورد في الذي زعما أنّــك صيّــرت نثــره ديـــما([2])

وقال يرثي عمة عضد الدولة التي توفيت ببغداد قصيدة مطلعها:

آخــر ما المـــلك معــزّى بـــه هذا الذي أثـــر فـــي قلبــــه([3])

وقال يذكر خروجه للصيد لامية مطلعها:

مــا أجـدر الأيـــام والليـــالي بأن تقـــول مـــاله ومـــا لـي([4])

وقال آخر شعره، فيما يروي الديوان، عند وداعه لعضد الدولة في أول شعبان سنة **أربع وخمسين وثلاث مئة (964 م)**، وهو كافية مطلعها:

فدى لك من يقصر عـن مـــداكـــا فـــلا مـــلك إذن إلاّ فـــداكـَــا([5])

وهذا الشعر بطبيعة الحال غزير ومتنوع من جهة، ومليء بالمبالغات من جهة أخرى، لأن الشاعر كان يرغب في إرضاء السلطان في أسرع وقت ممكن، فلا يريد أن يترك له مجالا للتفكير والتردد. وعلى هذا الأساس غابت العاطفة التي كنا نلمحها في شعره عند سيف الدولة في تلك القصائد.([6])

ومن ناحية أخرى استرد الشاعر حريته، والتي كان قد فقد قسطا كبيرا منها في مصر، ولكنه مع ذلك لم يزل يتألم لخيبة أمله، ويتأسف لما لم يبلغ مقصده في

([1]) المصدر السابق، ص468.
([2]) المصدر السابق، ص475.
([3]) المصدر السابق، ص476.
([4]) المصدر السابق، ص481.
([5]) المصدر السابق، ص491.
([6]) راجع الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص305.

الحياة، ذلك الذي لم يفته إلاّ لأنه يود من الأيام ما يودّه، ويريد أن يبلغه الدهر ما ليس يبلغه بنفسه.

وفي فارس اعتنى المتنبي بفن لم يكن يهتم به كثيرا من قبل، وهو وصف الطبيعة: فوصف شعب بوان، ووصف خروج السلطان للصيد علاوة على وصفه لتجاربه الشخصية في الحياة ، ولربما ألهمته البيئة الفارسية الجديدة هذا النوع من الشعر.

ومجمل القول، أن المتنبي، وهو في الطور الأخير من حياته عند عضد الدولة، لم يكن ليمل من قول الشعر، بل نشط فيه نشاطا لا يرى حتى في ريعان شبابه، كما يذهب إلى ذلك طه حسين حيث يقول:« *وما أعرف عهدا من عهود الشاعر في حياته كلها نشط فيه شيطانه هذا النشاط (...)، ونشاط الشاعر لا يمتاز في هذه الأشهر الثلاثة بالخصب وكثرة الإنتاج فحسب، ولكنه يمتاز أيضا بالتنوع والاختلاف...* » ([1]).

([1]) مع المتنبي، مصدر سابق، ص367.

الباب الثالث:

الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح المتنبي

إن للمدح منزلة سامية في شعر المتنبي، فقد كرس فيه أكثر من ثلث الديوان، ومدح أكثر من خمسين شخصا كما مر بنا.

ويمتاز مدائح المتنبي بأسلوب خاص اختص به، وخصائص كثيرة تميزها من شعر غيره، وقد رفعته تلك الخصائص إلى منزلة الفحول، وخلده كما خلد شعره، فما زال ذلك الشعر- ولا يزال أبدا- يجلب اهتمام الأدباء والنقاد، حتى شرح الديوان أكثر من خمسين شخصا، ولا يمرّ سنة يغيب فيها شعر المتنبي عن الدراسات الجامعية، وبحوث المراكز المختلفة، لا لشيء إلاّ لأنه نقش

اسمه في صخر الخلود بموهبته الشعرية، وشخصيته المتميزة، كما قال علي أدهم في مقاله: "هل كان المتنبي متدينا؟" :« *أبو الطيب المتنبي أرقى شعراء العربية نبضات قلب، وأبعدهم منزع فكر، وأعمقهم حكمة، ومن أصدقهم إفصاحا عن خفايا النفس، وأعرفهم بأسرارها: فلا عجب إن كان بعد ذلك أبعدهم شهرة، وأخلدهم أثرا ....وبالرغم من الزمن الطويل الذي مرّ على وفاته، وتغير الأحوال وتبدل المعايير الأدبية، وتباين أساليب الفهم واختلاف الذوق فإن شهرته لم تخمد ولا يزال اسمه سائرا على الألسنة وشعره مضرب الأمثال ومستودعا من مستودعات الحكمة* » .([1])

ولعله كان من أكبر عوامل تلك الشهرة، وذلك الخلود مدائحه التي تفرد بها، وأسلوبه الذي اختص به، وعلى هذا الأساس سنحاول في هذا الباب دراسة هذه المدائح من حيث الخصائص الأسلوبية واللفظية المعنوية مستندا على القصائد الواردة في الديوان.

الفصل الأول: الأسلوب والعاطفة والخيال

المبحث الأول: الأسلوب

إن لكل شاعر أسلوبا خاصا يتميز به، ويميز شعره عما سواه؛ فالأساليب في قول الشعر متنوعة ومختلفة اختلاف الشعراء، وهي مختلفة كذلك من عصر إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن غرض إلى آخر فيكون أسلوب المدح غير أسلوب الهجاء، وأسلوب الرثاء غير أسلوب الغزل وهكذا دواليك. وبما أن

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص 89.

المدح هو الذي يهمنا في هذا البحث سنكرّس دراستنا لأسلوب المتنبي عليه بصفة خاصة.

من الجدير بالذكر في هذا المجال أن الأسلوب الذي كان أكثر شهرة في عصر المتنبي هو الأسلوب الجاهلي القديم، والذي كان يبتدئ بالوقوف على الأطلال، ثم وصف الناقة قبل الوصول إلى المدح، وكان هذا الأسلوب أيضا داعيا إلى الوحدة في الوزن والقافية.
ولكنه قد كان بجانب هذا الأسلوب أسلوب آخر يدعو إليه المجددون، فكان الصراع شديدا في ذلك العصر بين أعوان المحافظة، وأنصار التجديد.

ومن جهة أخرى يتميز الشعراء من حيث الأسلوب إلى مطبوعين ومتصنعين، فكان منهم، في العصر العباسي الثاني، مؤيدو الصنعة، وآخرون يدعون إلى التطبع.

أمّا المتنبي فقد بنى أسلوبه في المدح على النمط القديم، ولكنه كان أكثر تعلقا بذلك الأسلوب في صباه عندما كان مقلدا، ولكن بعد ما امتلكت ملكته الفنية أخذ يبني مدائحه على منواله الخاص، وأسلوبه الشخصي، وبذلك أخذ يستهل قصائده بالحكمة أحيانا، كما في قوله عند سيف الدولة:

لكل امرئ من عهده ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا([1])

ويجدر بالذكر أن المتنبي، لم يبتكر الاستهلال بالحكمة فقد سبقه إليه بعض الشعراء أمثال أبي تمام كما في قصيدته التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب([2])

([1]) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م2، مصدر سابق، ص179.
([2]) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ج1، مصدر سابق، ص45.

وفي بعض الأحيان يترك المتنبي الحكمة مندفعا إلى المدح مباشرة، وقد لاحظنا ذلك عند مدائحه لسيف الدولة، كما في القصيدة التي ينكر فيها تلك العادة التي تريد الاستهلال بالنسيب، فقال:

إذا كــانَ مدح فالنسيبُ المقدَّمُ أكلّ فصِيحٍ قال شعــرًا متــيم

لحـب ابن عبد الله أولــى فإنّــهُ به يُبْدأ الذكرُ الجميل ويختــم([1])

أي أن حبه للممدوح أعلى من حب الحبيبة، ولذا ينبغي أن يبدأ بـه المديح ويختمه به.

ومن هنا يتبين لنا أن أسلوب الشاعر كان متغيرا حسب الممدوحين، فكان يستهل بالنسيب قبل اتصاله بسيف الدولة، ثم تضاءل في مدائحه بعد اتصاله به، وخاصة في أوقات الثورة أو حينما يريد جلب رضا الممدوح بسرعة.

هذا، ومن مميزات هذا الأسلوب أيضا ظهور شخصيته فيه، فهو إذا مدح افتخر بنفسه، وقسم القصيدة بينه وبين ممدوحه، وعند كافور أيضا تغير هذا الأسلوب حيث بدأ يستهل المدائح بالشعر الوجداني الغنائي، ومزج المدح بشيء من السخرية.

أمّا بناء القصيدة، في مدائح المتنبي فبناء محكم، منطقي التسلسل إلاّ أنه يمزج بين الفنون في بعض القصائد.

ومن جهة أخرى تتميز قصائده بالتصوير الرائع والدقيق للصفات، وعلو النفس، وشدة الجرس الموسيقي كما يميل في أسلوبه كثيرا إلى الإيجاز والتضاد وكذلك التنوع.

وأمّا ألفاظه فقد أضفاها قوة تلائم شخصيته، وتميزها من شعر غيره، ولذا بدت معانيه القديمة كأنها جديدة. يقول أحمــد أمين في مقاله: "هل كان المتنبي

([1]) العرف الطيب، م2، ص76. يقول: أكل شاعر متيم القلب حتى يبدأ بالنسيب.

فيلسوفا؟" : « *ترى القوة تشع في جوانب أساليبه وقوافيه فإذا اشترك المتنبي وغيره من الشعراء في معنى من المعاني رأيت أبيات المتنبي غالبا أقوى أسلوبا وأجزل لفظا وأقوى قافية، وأمتن تركيبا لأنه يسبغ عليها من قوته، ويزيد في شدتها وحدتها من شدته وحدته حتى ليقول المألوف والفكر الشائع الذي توارد عليه الشعراء في كل العصور فيخلع عليه المتنبي بعض نفسه، وقطعة من حسه، فكأنما هو جديد وكأنه لم يسبق إليه* ».([1])

وعلى هذا الأساس ذهب بعض النقاد إلى أن المتنبي قد وفق كثيرا في اختيار الألفاظ أي "روائع المباني لبدائع المعاني"، ولكنه لم يكن يهتم كثيرا بالزخرفة اللفظية، كما كان يفعل البحتري وغيره من شعراء عصره.

ومن ناحية أخرى نرى في مدائح المتنبي بعض الألفاظ الساقطة، والعبارات الشاذة الغريبة، كما كان يميل من ناحية أخرى إلى الغموض أحيانا، ونلاحظ ذلك أكثر في مدائحه التي قالها في الطور الأول من حياته عندما كان مقلدا للفلاسفة والمتصوفة، ولأهل التصنع أمثال أبي تمام.

وربما تعمد الغريب والغموض أحيانا لتعجيز منافسيه من اللغويين، وبيان ملكته اللغوية والفنية. يقول صدقي إسماعيل في مقاله: " **تجربة المتنبي** ": « *والمتنبي يفخر بأنه لا يأبه لما تعارف عليه العرب من قواعد اللغة وأصول البيان. إن ما في منطقه من قوة لهو فوق القاموس ومفرداته، إنه صفحة جديدة من الخلق يتوج بها المتنبي التراث العربي، صفحة من العظمة تضاف إلى سفر العروبة* ».([2])

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص22-23.
([2]) سليمان العيسى، موجز ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص57.

وهذا الجانب من التصنع لا ينقص شيئا من روعة شعره إذا قارناه بمحاسنه الكثيرة، كما يقول شوقي ضيف: « *كان لديه من المهارة الفنية ما يستطيع أن يخفي به سمات هذا التصنع وما ينطوي فيه من تكلف شديد* ».([1])

وجملة القول، أن أسلوب المتنبي في مدائحه متغير حسب أطوار حياته فكان متصنعا في شبابه، وجامعا بين التصنع والتطبع بعد اتصاله بسيف الدولة، وقد تغير أسلوبه أيضا من ممدوح إلى آخر فكان مدحا خالصا عند سيف الدولة، وممزوجا بالسخرية عند كافور الإخشيدي.

وهذا الأسلوب بجملته أسلوب متأثر كثيرا بشخصيته، فملأه قوة وضخـامة جعلتاه رائعا جميلا وحيويا يعتريه الغلو أحيانا، يقول خليل مطران:« *وأظهر ما يمتاز به شعر أبي الطيب القوة والروعة والابتكار والنزوع إلى غاية لم يصل إليها الشعراء قبل، والقدرة على إرسال المثل، ودقة الوصف والتصرف في المعنى القديم حتى يعود غضا جديدا. وقد تجد لكل شاعر في كل قصيدة قالها بيتا أو أبياتا قليلة تعد من عيون الشعر وبدائعه، أمّا المتنبي فلا تجد له في كل قصيدة إلا بيتا أو أبياتا قليلة لم تصل إلى شأو البعيد، والباقي الكثير من القصيدة غرر ودرر*» ([2]).

المبحث الثاني: العاطفة

إن لعظمة المتنبي أثرا كبيرا في عواطفه، فهو لم يكن من هؤلاء الشعراء الذين يتميزون برقة العاطفة، والتأثر السريع لأنه كان يرى العظمة في كل شيء، ولا يريد أبدا أن يتذلل أمام شيء في الحياة مهما كانت خطورته، كما قال:

([1]) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص342.
([2]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص29.

فاطلب العز في لظى وذر الذ لّ ولو كان في جنان الخلود([1])

ولذا لم يرد أن يتعلق قلبه بشيء آخر يشغله عن المجد والعظمة، وعلى هذا الأساس كان حبه هامشيا - إن جاز التعبير- لأنه، كما قال صدقي إسماعيل : « *كان أحيانا يرفض عاطفة الحب، وينتصر لكبرياء نفسه، فيزعم أن الهوى هوة يرمي فيها الإنسان بنفسه إلى التهلكة، وأنه أقوى من أن تصطاده الغواني*»([2]) لأنه كان يقصد المجد، والمجد بعيد عن ذلك كما قال:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر([3])

ولكن المتنبي لم يرفض تماما عاطفة الحب، ولكنه قيّدها بأغلال متينة، فكان بعيدا من هؤلاء الشعراء الذين كانوا متهالكين على حب النساء لا يأخذهم في ذلك لومة لائم، حتى أصبحوا أسارى الشهوة الجامحة أمثال جميل بثينة، مجنون ليلى، كثير عزة وغيرهم، يقول العباس بن الأحنف(*)

أيا من تعلقته ناشئا وشبت وما آن لي أن أشيبا([4])

فالمتنبي، بسبب تمرده على تلك العواطف أحيانا، «*لا يصلح للتعبير عن المشاعر الرقيقة، وهمسات الروح الداخلية، وضروب الجمال الخفي، وألوانه الصامتة* » ([5]).

وإلى جانب ذلك فقد ضعفت العاطفة الدينية عند المتنبي، فلم يكن من هؤلاء الشعراء الذين يعتنون بالدين، أو يفسحون له مجالا واسعا في فنهم، بل بالعكس كان متهاونا بدينه، يسخر منه حينا، ويعارضه أحيانا، فاستمع إليه وهو يقول:

([1]) العرف الطيب، م1، ص115.

([2]) موجز ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص45.

(*)العباس بن الأحنف شاعر من شعراء العصر العباسي العذريين ينتسب إلى بني حنيفة، وقد نشأ في بغداد وعرف حياة بحبوحة، فلم يكتسب بالشعر بل عني بالغزل والوصف.

([3]) العرف الطيب، م1، 370.

([4]) أي أنه يحبه منذ نشأته، وسبب له الحب من الوجد والحرمان ما شيبه قبل أوان الشيب

([5]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص85.

أي محـــــل ارتــقـــي أي عــظيـــم اتــقـــي
وكـل مــا خلــق الله ومـــــا لـــــم يخلــــق
محتـقـر في هـــمّتي كشعرة فـــي مفرقـــي([1])
وقال أيضا في مدح بدر بن عمار:
لوْ كَـانَ علمُــكَ بالإلـهِ مقـــسَّمًا في الناس ما بعث الإلـهُ رسولا
لو كَـانَ لفظك فيهم مَــا أنزَلَ الْـ فرقانَ والتـــوْرَاةَ والإنجـــيلا([2])
وقال كأنه يسخر من الناس جميعا، وبتمسكهم بالدين:
أبـــوكم آدم ســـنّ المعاصـــي وعلمكـــم مـــفارقة الجنـــان([3])

ومثل ذلك كثير، ذلك لأن الشاعر لم يكن متين العقيدة- فيما اعتقد- ولعل ذلك يرجع إلى تأثــره بالقرامطة، وبالمذاهب الفلسفية، يقـول علـــي أدهم إن في شعر المتنبي :« *إشارات كثيرة تختـلف وضوحا وخفاء تـنم عن وهن العقيدة وضعف الإيمان، وغلبة الآداب الجاهلية في نفسه على الآداب الإسلامية*» .([4])

أمّا ما يطغى على عاطفة الشاعر في مدائحه جملة، فكان اندفاع الثورة والحماسة، ونشوة الأمل ، وكذلك الاضطراب، والغضب عندما يؤلب الأعداء عليه، أو يُخَّـيَبَ أمله، وذلك إلى جانب الإعجاب بالفضيلة وبالمثل العليا.

وفي بعض الأحيان يجتمع عواطف متباينة في القصيدة الواحدة، كما هو الحال في القصيدة التي مطلعها:
واحر قلباه ممــن قلبـــه شبـــم ومن بجسمـــي وحـــالي عنده سقـــم([5])
حيث ينم عن حبه لسيف الدولة، وإعجابه به وبنفسه، وخيبة أمله وما إلى ذلك.

([1]) العرف الطيب، م1، ص141.
([2]) المصدر السابق، ص304.
([3]) المصدر السابق، م2، ص455.
([4]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص90.
([5]) راجع العرف الطيب...، م2، ص118 وما بعدها.

ومن جهة أخرى أثر الألم كثيرا في عواطف المتنبي، حتى أصبح إذا تكلم عنها، بدت كأنها ليست عواطفه وحده، بل عواطف البشرية الخالدة بصفة عامة، كما في قوله:

بم التعلل لا أهـل ولا وطـن ولا نـديم ولا كـأس ولا سكـن
أريـد مـن زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه مـن نفـسه الزمـن
لا تلق دهـرك إلا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سـرور ما سررت به ولا يـرد عليك الـفائت الحـزن[1]

وقوله:

وأتعب خلق الله من زاد همّـه وقصّر عما تشتهيه النفس وجده[2]

وقوله:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هـم
شر البلاد مكـان لا صديق به وشرما يكسب الإنسان ما يصم[3]

ويظهر ذلك أيضا في شعره الغنائي الوجداني الذي ينم به عن ألمه النفسي، وهو شعر بعيد الأثر في النفوس، ومن ذلك الشعر قوله عند كافور:

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئا تتـيمه عـين ولا جـيد
يا ساقيي أخـمر في كـؤوسكما أم فـي كؤوسكما هـم وتسهيد
أصخـرة أنا، مالي لا تحـركني هذي المدام ولا هذي الأغاريد
إذا أردت كميت اللـون صافيـة وجدتـها وحبيب النفس مفقـود[4]

يقول حنا الفاخوري في هذا الشعر:« *فهذا يعد من أروع الشعر الغنائي، فهي لا تتخذ مظهر الشعر العقلي إلا لأن العاطفة قد تعدّت فيها حدود الفردية، وارتقى إلى مستوى العواطف الإنسانية المثالية*» [5].

([1]) المصدر نفسه، ص342.
([2]) المصدر نفسه، ص315.
([3]) المصدر نفسه، ص123.
([4]) المصدر نفسه، م2، ص397.
([5]) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص634.

وتجدر الإشارة، من ناحية أخرى إلى أن عاطفة المتنبي كان صادقا في مدائحه لسيف الدولة لأنه أحبه ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ أمّا عاطفته في مدائحه لكافور فغير صادقة لأنه كان يضمر له البغض والازدراء والتهكم.

المبحث الثالث: الخيال

إن للمتنبي ذكاء حادا، وثقافة واسعة أثـّرَا في خياله، فكان ذا خيال واسع مكنّه من فتح أجواء خيالية جديدة للشعر العربي، كما ابتدع صورا لم يسبق للشعر العربي عهد بها، ومن جهة أخرى تمكن من صياغة الصور القديمة صياغة جديدة تضفي إليها من شخصيته وقوته فتبدو كأنها جديدة.

ومن مظاهر خيال أبي الطيب أنه لا يكتفي بالقريب من الصور الخيالية، بل يتعداها إلى صور لا توصل إليها إلاّ بعد التفكير الطويل، والتأمل الدقيق، فاستمع إليه وهو يقول في سيف الدولة:

وقفت وما للموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم([1])

حيث يتخيل أن سيف الدولة لشدة موقفه في الحرب، يبدو كواقف في جفن الموت، وهو، أي الموت، نائم لا يكاد يبصره.

وقوله فيه:

أتحسب بيض الهند أصلك أصلها وأنـك منـها؟ سـاء ما تتوهـم

إذا نحن سميناك خـلنا سـيوفـنا مـن التـيه فـي أغمادها تتبسم([2])

حيث يتخيل أن سيف الدولة يخطأ إذا توهم أن اسمه الذي أُخذ من السيف يؤهله للفخر، لأن السيوف، بالعكس، هي التي تفتخر بتوافق اسميهما حتى إنها لتبتسم فرحا وتِـيهًا كلما ذكر اسم سميّها : وهو سيف الدولة الحمداني.

([1]) العرف الطيب ، م2، ص206.

([2]) المصدر نفسه، ص81.

وفي بعض الأحيان يدفع المتنبي خيالُـه الواسع إلى تصوير صور بعيدة بتأمله الدقيق، كما في قوله:

ولو بــرز الزمــان إلي شخصا لخضب شعر مفرقه حسامي([1])

يقول أنيس مقدسي في المتنبي : « *فإذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عند ما يقع تحت حسه فقط، بل يتعداه إلى مناطق يفتتحها أمامه خياله، فيجعل المرئيات أساسا لغير المرئيات، ويولد من المحسوسات صورا مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات. يقف مثلا في قلب الوادي فيسمع فيه نبضات الحياة يمر أمامهم على صفحات الماء حوادث التاريخ فيذكر الأمم الغابرة والوقائع الماضية، ويستخلص من ذلك عبر الأيام علاقتها بازدهار المدنيات، واندثارها، وما إلى ذلك مما يستخدم فيه الحس توصلا إلى صور الخيال البعيدة*».([2])

ومن جهة أخرى، يظهر خيال المتنبي الرحب في مدائحه لكافور حيث تمكن من رسم صور لها وجهان ظاهره المدح، ومن وراءه السخرية والتهكم، كما في قوله:

يفضح الشمس كلما ذرت الشمــ س بشمس منيرة سوداء([3])

وقد كثرت الأقوال والتأويلات لهذا البيت، لكني أراه مجرد سخرية، لأني لا يمكن أن أتخيل شمسا سوداء ومنيرة في آن واحد، لأن السواد مرجعه إلى الظلمة لا إلى النور فيما أظن، و لعل هذا مما دفع الشاعر إلى القول بعد خيبة أمله عند كافور:

أخذت بمدحه فرأيت لهوا مقالي للأحيمق يا حليــم([4])

ومن السخرية قوله:

([1]) المصدر نفسه ، م1، ص159.
([2]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص45.
([3]) العرف الطيب، م2، ص304.
([4]) المصدر نفسه، ص392.

وما طربي لما رأيــتك بـدعــة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب([1])

يروى من ابن جني، أنه قرأ هذا البيت على أبي الطيب، وقال له: لم تزد على أن جعلته أبا زنة ـ أي قردا ـ فضحك المتنبي لقوله. ([2])

ولعل خيال الشاعر الواسع أيضا هو الذي أدّى إلى اختلاف الأدباء في شعره، وكثرة التأويلات و الشروح فيه. يقول الواحدي في سبب شرحه للديوان : «*خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة العلماء حتى الفحول منهم والنجباء كالقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة وأبي الفتح عثمان بن جنى النحوي وأبي العلاء المعري وأبي علي بن فورجة البر وجردي رحمهم الله تعالى*».([3])

وقد أكد أنهم وفقوا في كثير من المعاني «*وخفي عليهم بعضه فلم يكن لهم غرضه المقصود لبعد مرماه* وامتداد *مداه*».([4])

ولعل ذلك الخيال الفيّاض أيضا أدّى به إلى نظم شعر غامض عن قصد أو عن غير قصد، كما يقول نقولا الحــداد: في مقاله "الغموض في شعر المتنبي" : « *جاء شعره مجرد إغراق في الخيال، وغلو في التصوير الأمر الذي اقتضى في كثير من المواقف أن يعجز عن إبراز الصورة التي تمثلت في ذهنه لأنه لم يجد في اللفظ بدنا كاملا لها، ولا في سعة العروض كساء واسعا تحتويه، فرقع الثوب ترقيعا ضيّقا للمعنى الذي أراد فقبح الثوب وانطمس المعنى*».([5])

([1]) المصدر نفسه، ص341.
([2]) المصدر نفسه، ص100 .101
([3]) شرح الواحدي، مصدر سابق، ص3.
([4]) المصدر نفسه، ص3.
([5]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، ص103.

ومهما يكن من أمر، فقد برع المتنبي في إبداع صور خيالية جميلة، وفتح للشعر العربي مجالات جديدة بخياله الواسع وتصويره الرائع.

وليس ذلك الخاصية الوحيدة لقصائده، فلمدائحه خصائص أخرى أسلوبية ولفظية، ومعنوية، وسنعالجها فيما يلي.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية

إن لكل كلام جانبين أساسيين، لا محالة من وجودهما، وهما الألفاظ والمعاني، وهذان الجانبان مترابطان ومتماسكان تماسكا كليا، حتى لا يكاد يمكن الفصل

بينهما في الشعر، فهما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن أبدا أن يستغني أحدهما عن الآخر.

وقد اهتم البلاغيون والنقاد بهما كثيرا، وبحثوا فيهما طولا وعرضا، فأثارا ضجيجا كبيرا في الشعر العربي، فانقسم النقاد بين أنصار اللفظ يرونه أهم جانب من الشعر، وأنصار المعنى يولون له أهمية قصوى في القصيدة.

ومهما يكن من أمر، فإن الشعراء جميعا تناولوا هذين الجانبين في قصائدهم بدرجات متفاوتة؛ فمنهم من اهتم باللفظ على حساب المعنى، وهم الذين يكوّنون مدرسة الصنعة اللفظية، ومنهم من اهتم بالمعنى وتهاون باللفظ، ومنهم أيضا من حاول التأليف بين المدرستين فاهتم بهما جميعا.

وفي هذا الفصل الذي يتناول الخصائص الفنية في شعر المتنبي، سنعالج الخصائص اللفظية التي اشتهر بها المتنبي في مدائحه، إلى جانب الصور البلاغية والجمالية.

المبحث الأول: الخصائص اللغوية

I. الولوع بأساليب النداء والإشارة والضمائر:

أكثر أبو الطيب المتنبي من استعمال أسماء الإشارة والنداء والضمائر في ديوانه حتى تكاد تجده في كل قصائده؛ ومن تصفح الديوان يجد هذه الأساليب فيها كثيرة كثرة مفرطة. وعلى هذا الأساس يعد المتنبي من أكثر الشعراء استعمالا لها. يذهب الجرجاني إلى أن ما في ديوان المتنبي من أساليب الإشارة يفوق ما في دواوين القدماء قاطبة، حيث يقول :« *ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكره من هذه الإشارة؛ وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفا، والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة، أو على سبيل الغلط والفلتة*» ([1]).

([1]) علي عبد العزيز الجرجاني، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه (الطبعة والتاريخ بدون)، ص97.

ومن الشواهد على ذلك قوله في مدح عبد الله بن يحيى البحتري:

أذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة

وذيّـا الذي قبلته البـرق أم ثغـر([1])

حيث كرّر اسم الإشارة ثلاثة مرات في البيت الواحد، وصغرها في المرة الثالثة.

وقوله في أحمد بن الحسين القاضي المالكي:

أقاضينا هـذا الذي أنـت أهـلـه غلطت ولا الثلثان هذا ولا النصف([2])

وقوله في الأوارجي:

يـا أيها المجدى علـيه روحـه إذ ليـس يأتـيه لـها استجـداء([3])

حيث استخدم في البيت نفسه ضمير الغائب أربع مرات، ثلاثا مع المذكر ومرة مع المؤنث.

وقوله في القصيدة نفسها:

لو لـم يكن من ذا الورى اللـذ منك هـو

عـقمـت بمولـد نسـلها حـواء([4])

ومن يقرأ هذا البيت يتعجب من هذه الضمائر والإشارات المتتالية، والتي ربما تبعد المعنى، وتدخل اللبس في ذهن القارئ.

وقوله:

هم الناس إلا أنهم من مكارم يغـنى بهـم حضر ويحـدو بهـم سفـر([5])

حيث كرر الضمير (هم) أربع مرات في البيت.

ومثل ذلك كثير أكثر من أن يحصى في هذا البحث، فارجع إلى الديوان لتجد ذلك واضحا جليا وضوح الشمس في كبد السماء.

([1]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص175. ذا بمعنى هذا ، وذيا تصغير ذا.

([2]) المصدر نفسه، ص243.

([3]) المصدر نفسه، ص272.

([4]) المصدر نفسه، ص478.

([5]) المصدر نفسه، ص 178.

وتجدر الإشارة إلى أن المتنبي أكثر من استعمال هذه الأساليب في شبابه عندما كان تحت وطأة عصره متكلفا ومتصنعا، على غرار أبي تمام وأكثر شعراء عصره.

ولعله كان يقلد المتصوفة في أساليبهم كما ذهب إلى ذلك شوقي ضيف حيث يقول مشيرا إلى إكثار المتنبي في تلك الأساليب: « *وهو إكثار أوقعه فيه تصنعه لأساليب المتصوفة التي تعتمد على ألفاظ الكشف والمشاهدة، وبذلك تقترب من الأساليب الشفوية*».([1])

ومهما يكن من أمر، فقد أكثر المتنبي من استعمال الإشارة والنداء والضمائر، وطبع بها شعره بصفة عامة ومدائحه بصفة خاصة، كما طبعها بأساليب أخرى كالتصغير والألفاظ الغريبة وما إلى ذلك.

II. **التصغير**:

أكثر أبو الطيب من جهة أخرى من استعمال التصغير، فهو كثير في ديوانه كثرة مفرطة، وقد استعمله في مدائحه لأغراض متباينة منها: الاستهانة والتحقير، خاصة حين يهاجم أعداءه ، كما في قوله:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول([2])

ومنها أيضا: اللطافة والتعظيم، وهما أكثر أساليبه في التصغير في مدائحه، كما في قوله:

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي([3])

وقد استعمل من التصغير أساليب شاذة كتصغير اسم الإشارة ذا بذيّا في قوله:

أذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة

([1]) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص319.
([2]) العرف الطيب، م2، ص191.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص208.

وذيّـا الذي قبلته البــرق أم ثغــر([1])

وتصغير اسم التفضيل، كما في قوله:

أيّـــاما **أحيسنـــها** مقـــلـــة ولـــولا المــلاحة لـم أعجـب([2])

حيث صغر اسم التفضيل أحسن.

وتصغير جمع التكسير، كما في قوله:

لا يحرم البعد أهــل البــعد نائـله وغـير عـاجـزه عنــه **الأطيــفال**([3])

حيث صغّــر الأطفال، ولعـــل ذلك كـله مما دفـع شوقـي ضيف إلى القول :« *ويكاد الإنسان لا يجد شاذة من شواذ التصغير إلاّ ولها أمثلة في شعره*».([4])

ولا يتوقف ذلك في المدائح ؛ فقد أكثر التصغير أيضا في الهجاء كقوله في كافور:

أولى اللـئَام كـُويْـفِيرٌ بمَعْــذِرَةٍ عن كـُـل لـُؤم، وبعض اللؤم تـَـنفيدُ([5])

أمّا دوافع ميله إلى التصغير، فربما كبرياؤه وغيظه على الناس وعلى منافسيه كما في المثال الأول، ويذهب إلى ذلك العقاد حيث قال في مقاله حول "شخصية المتنبي في شعره" :« *فالولع بالتصغير الذي لوحظ عليه هو عندنا من لوازم مزاجه المتكبر المغيظ من فوات رجائه*» ([6]).

ولعل لذلك أيضا علاقة بتصنعه لأساليب المتصوفة كما يؤكد ذلك شوقي ضيف.

ولكني أرجح أنه أكثر من التصغير لدوافع فنية بحتة، ولذا نراه يستعمله بأساليب مختلفة، ولأغراض متباينة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وكما استعمل المتنبي الشواذ في التصغير، أكثر من استعمال الغرائب اللغوية، والشواذ التعبيرية والنحوية حتى أصحبت خاصية من خصائص مدائحه.

([1]) المصدر نفسه، ص175.
([2]) المصدر نفسه، ص421.
([3]) المصدر نفسه، ص369.
([4]) الفن ومذاهبه...، ص320.
([5]) العرف الطيب، م2، ص400.
([6]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص9.

III. الغرائب والشواذ النحوية:

إن من أشهر مميزات مدائح أبي الطيب المتنبي كثرة استعماله للألفاظ الغريبة، والتراكيب الشاذة كثرة مفرطة. فهو متمرد حتى على المألوف من العبارات العربية، والقواعد النحوية، ولعل المتنبي تعمد تلك الغرائب للدلالة على مهارته في استعمالها، وطول باعه في النحو. ولا يختلف اثنان في معرفة المتنبي للغة وقواعدها، وفي هذا الصدد ورد في "وفيات الأعيان" أن أبا علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلى وظِرْبَى: قال الشيخ أبو علي: فطالعتُ كتبَ اللغة ثلاث ليال أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد([1]).

فهذه القصة – إن صحت- دالة على كفاءته اللغوية، ولعل تلك الكفاءة أيضا هي التي دفعته إلى محاولة تعجيز اللغويين الذين كان يتقاسم معهم بلاطات الملوك والأمراء.

ومن المحتمل أيضا أن تجيء تلك الغرائب والشواذ نتيجة تكلفه، وعجزه على تجسيد ما في خياله الواسع.

ومهما يكن من أمر، فقد أكثر المتنبي من استعمال الغريب حتى بدا كشاعر جاهلي بدوي لم يعرف حياة الحضر في حياته. يقول الصاحب بن العباد : « *ومن أهم ما يتعاطاه التصافح بالألفاظ الثائرة، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء، وغذي لبن لم يطأ الحضر، ولم يعرف المدر*».([2])

ولعل هذه الغرائب مما سبب الوهم في مدائحه، وأبعد بعض معانيها، فاضطر النقاد واللغويون إلى شرحها ومحاولة تأويلها؛ فيرى كل واحد منهم فيها ما لا يرى غيره، ويعتبر نفسه الوحيد الذي وصل إلى فهم معانيها، وذلك حتى

([1]) وفيات الأعيان، مصدر سابق، ص120-121.

([2]) ذكره شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص335. وأخذه من اليتيمة للثعالبي 1/ 123.

وصلت الشروح إلى خمسين أو أكثر، وما زالت المناقشة شائكة في شعره، والدارسون في أمس الحاجة إلى فهم مدائحه، وذلك لا لشيء إلاّ لأن ديوانه بدا وكأنه، كما يقول شوقي ضيف «*مستودع للتراكيب الشاذة في اللغة، إذ كان المتنبي يطلب كل غريبة شاذة في التعبير*».([1])

ويعلل ذلك ناصيف اليازجي حيث يقول:« *وكثيرا ما يقع له ذلك من استعمال اللفظ في غير موضع استعماله أو حذف شيء في غير مواطن الحذف أو تشويش التركيب بالتقديم والتأخير فيما حقه العكس أو زيادة حشو يفرق بين أجزاء المعنى*».([2])

وإليك شواهدا من تلك الغرائب والشواذ:

فمن حيث الألفاظ استخدم بعض الأساليب الغريبة التوراب بدلا من التراب، في مثل قوله:

أيفطمه التورابُ قبْل فطامِهِ ويأكلهُ قبلَ البلوغِ إلَى الأكل([3])

واستعمل من الجموع أوزانا نادرة كأن يجمع دار على أدؤر، وملك على أملاك، في قوله:

يا أكرم الأكرمين يا ملك الـ أملاك طرا يا أصيد الصيد([4])

وأرض على أروض، في قوله:

أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبي شجاع من أمان([5])

وكوب على أكوب، ورأس على أرؤس في قوله:

بعد عثار القنا بلبّته وضربه أرؤس الصناديد([6])

([1]) المصدر نفسه، ص338.
([2]) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، م1، مصدر سابق، ص40.
([3]) المصدر نفسه، م2، ص44.
([4]) المصدر نفسه، ص65.
([5]) المصدر نفسه ، م2، ص456.
([6]) المصدر نفسه، ص63.

واستعمل اللذ بدلا من الذي، وربتما بدلا من ربما، والقائمة طويلة([1]).

وإلى جانب ذلك لجأ المتنبي إلى الشواذ من القواعد النحوية، كاستعمال لغة " أكلوني البراغيث" في قوله:

نفديك من سيل إذا سئل الندى هــول إذا اختــلطا دم ومسيــح([2])

حيث جاء بألف الاثنين مع تأخير الفاعل.

واستعمال ليس استعمال الحروف كما في قوله:

بقائي شــاء ليــس هُـــمُ ارتحالا وحُسْنَ الصبر زمّـوا لا الجمال([3])

وكذلك استعمال اسم التفضيل في الألوان مثل قوله:

إبْعَدْ بَعِدْتَ بياضًــا لا بيَــاضَ لَــهُ لأنتَ أسْوَدُ فِي عيني مِنَ الظُّـلم([4])

وهذا مما لا يقبله النحاة إلا مدرسة الكوفة، وهو شاذ، ومثل ذلك كثير في الديوان أكثر من أن يحصى.

فالمتنبي في هذا المجال كان كما قال فيه إبراهيم اليازجي : «*كان أبو الطيب كالملك الجبار، يأخذ ما حوله قهرا وعنوة، وكالشجاع الجريء يهاجم من يريد ولا يبالي ما لقي ولا حيث وقع* » ([5]).

ولعل ذلك مما يجوز لكبار الأدباء كما قال محمد مندور في كتابه "سر الفصاحة" :« *يباح الخروج على القواعد لكبار الأدباء الذين لا يعدلون عنها إلاّ عن قصد وبينة وذلك لأن أمثال هؤلاء يُحتج على اللغة بهم، ولا يحتج باللغة عليهم ما دامت اللغة كائنا حيا تتطور وعقلية من يتكلمونها*».([6])

([1]) راجع الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص335- 339.
([2]) العرف الطيب، م1، ص184.
([3]) المصدر نفسه، ص289.
([4]) المصدر نفسه، ص135.
([5]) ذكر في نوابغ العرب، "أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف"، مصدر سابق، ص29.
([6]) ذكره توفيق على الفيل، " الفصاحة مفهومها وبم تتحقق قيمها الجمالية"، **حوليات كليات الآداب**، جامعة الكويت، الحولية السادسة 1985، ص29.

o o o

هذه نبذة من الخصائص اللغوية في مدائح أبي الطيب المتنبي، وإليك بعضا من الطبائع البلاغية التي تميز بها قصائده المدحية.

المبحث الثاني: الطبائع البلاغية

لقد اهتم المتنبي من ناحية أخرى بالتجميل الفني لمدائحه، فلجأ إلى صور بلاغية تزيد الشعر رونقا وبهاء، وتحببه إلى النفوس، ولكنه رغم ذلك لم يكن من أصحاب الصنعة اللفظية الذين يمكن مقارنتهم بالبرناسيين الذين لا يقصدون إلاّ الجمال، ولا يؤمنون إلاّ بالفن للفن.

فالمتنبي وإن اهتم بالفن فبدرجة ثانية ـ إن صح التعبير- لأنه كان يعتني كثيرا بمعانيه، ويولي لها أهمية لا يوليها للألفاظ. ولذا نراه يقع كثيرا فيما يعتبره النقاد زلات فنّية.

هذا، ومن أهم مميزات مدائح المتنبي من الناحية البلاغية حسن الاستهلال والتخلص، إلى جانب أساليب الإيجاز والتضاد كالتجنيس والمطابقة والترديد، والتشبيه والاستعارة وما إلى ذلك.

I. براعة الاستهلال والتخلص

إن لبداية القصيدة أهمية قصوى في بنائها؛ فهي أول جزء منها، وأول ما يقع بين يدي القارئ، فإن كانت جميلة جذابة رغب في القصيدة وتمادى في القراءة، وإن كانت رديئة ركيكة ملّ سريعا، وضرب بالقصيدة عرض الحائط. يقول الجرجاني في ذلك :« *الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء...* ».([1])

([1])الوساطة بين المتنبي وخصومه، مصدر سابق ، ص48.

وعلى هذا الأساس اهتم الشعراء كثيرا بمستهل القصيدة وعنوا به عناية تامة منذ عصر الجاهلي إلى أيامنا هذه. والمتنبي، على غرار فحول الشعراء، عني بالاستهلال والتخلص والخاتمة كل على حدة، وذهب بها مذاهب متباينة.

ومن استهلالا ته المستحسنة، قوله مبتدئا بالغزل كعادة الشعراء في مدح بدر بن عمار:

الحب مـــا منع الكـــلام الألسنـــا وألــذّ شكـْوَى عاشِــقٍ ما أعـْـلـَـنـَـا

ليتَ الحبيبَ الهاجري هَجْرَ الكرَى من غير جُرْم واصِلي صِلـَةَ الضّـنى[1]

حيث عرّف الحب بنفسه، قبل المضي في تألم ما أحدثه هجران حبيبه له، وهو استهلال يحبب القارئ المضي في القراءة.

ومنها قوله:

أتـــراها لكثـــرة العــــشاق تحسب الدمع حلقة في المآقي[2]

ومنها قوله مبتدئا بالحكمة، وهو كثير في مدائحه:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[3]

وقوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّل وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكــان[4]

فهو، إن استهل بالحكمة استتند بها لتعليل ما يريد أن يصف به الممدوح من الكرم، أو رجاحة العقل، أو الشجاعة وما إلى ذلك. وعلى هذا يجعل حينا السطر الأول من البيت حكمة، والسطر الثاني تعليلا ومدحا، كما في قوله:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا[5]

---

(1) العرف الطيب، م1، ص307.
(2) المصدر نفسه، ص440.
(3) المصدر نفسه، م2، ص202.
(4) المصدر نفسه، ص251.
(5) المصدر نفسه، ص179.

فبهذا نرى أن للمتنبي أساليب كثيرة مستحسنة في الاستهلال منها الغزل والحكمة، ومنها أيضا الابتداء بالمدح مباشرة، كما علل ذلك بقوله:

إذا كان مدح فالنسيب مقدم أكل فصيح قال شعرا متيم([1])

فالممدوح في رأيه أحق بأن يستهل منه القصيدة، لأنه ليس كل شاعر عاشقا أو متيما حتى يبتدئ بالنسيب.

ولعل تلك الابتداءات الحسنة مما دفع عليا أبا خشب إلى القول : « *لا تجد قصيدة من شعره إلاّ وقد توفرت فيها هذا الأمر* [*يقصد براعة الاستهلال*] *على أحسن صورة، وأكمل مثل، وأبدع شاهد*».([2])

ولعل إبراهيم علي أبو خشب بالغ عندما قال ذلك؛ فالمتنبي رغم كونه بارعا في ذلك الأمر، ربما يسيء فيه في بعض الأحيان، لأن لكل رجل هفوة، كما يقول المثل، ومما يمكن أن يعتبر هفوة في هذا المجال قوله في مستهل قصيدة مدح فيها كافور:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا([3])

حيث استهل بالشكوى في أول لقائه مع أمير طال ما رغب في لقائه واستضافته.

وكما برع المتنبي في الاستهلال برع في التخلص والخاتمة، ومن حسن تخلصه وخروجه قوله:

جمع الزمان فما لـذيذ خالـص مما يشوب ولا سرور كامل

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهي المقام الهائـل([4])

وهو تخلص بالحكمة ثم التعليل، كما فعل في الاستهلال وهو مستحسن.

ومنه قوله:

([1]) المصدر نفسه، ص75.

([2]) إبراهيم علي أبو خشب، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص298.

([3]) العرف الطيب، م2، ص294.

([4]) المصدر نفسه، م1، ص351.

نودعـهم والبيــن فــينا كـأنـــه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق([1])

ولكنه يسيء فيه أحيانا كقوله في مدح علي ابن إبراهيم التنوخي:

أحبُـكِ أو يَـقـُولوا جَـرّ نمْــلٌ ثبيرَ أو ابــن إبـراهيم ريعَــا([2])

حيث علق زوال محبته لحبيبته بأن يقال أن النمل جرّ جبل ثبير أو أن ابن إبراهيم خُوِّفَ، وهو تخلص غير مستحسن.

ومن حسن ختامه قوله في بدر بن عمار:

مثـلك يا بدر لا يكــون ولا تصلــح إلاّ لمثــلك الــدّول([3])

ومنه قوله في سيف الدولة:

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنــك مستقــيم فــي محــال

فإن تفق الأنام وأنت منهــم فإن المسك بعض دم الغزال([4])

II. الإيجاز والتضاد

لقد عني المتنبي كثيرا ببعض الصور البديعية، واستخدم بعض الأساليب القديمة إلا أنه زاد فيها تعقيدا لتأثره بمدرسة الصنعة اللفظية الشائعة في عصره، ومن أشهر الصور البلاغية التي نلاحظها في مدائحه أساليب الإيجاز والتضاد، من التجنيس والمطابقة والترديد والاستعارة ومــا إلى ذلك. يقول إيلــيا الحاوي : « *الإسراف بالجناس والطباق يدلنا إلى أي مدى وقع تحت وطأة عصره البديعي اللاهي بصنعة الألفاظ والحروف في الجناس ومعاظلة المعاني في الطباق* » .([5])

وإليك بعضا من الصور التي تميز بها مدائح المتنبي:

([1]) المصدر نفسه، م2، ص145.

([2]) انظر المصدر نفسه، م1، ص215. أو الأولى بمعنى إلى أو إلا، وثبير اسم جبل ، وريع مجهول راعه أي خوفه.

([3]) المصدر نفسه، م1، ص289.

([4]) المصدر نفسه، م2، ص25.

([5]) إيليا الحاوي، **في النقد والأدب: العصر العباسي وقصائد محللة**، ط 1، 5ج (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1980م) ج3، ص241.

أ- الجناس:

الجناس هو تشابه الألفاظ في الحروف، واختلافها في المعنى، وله ضروب كثيرة ومختلفة، وقد ضرب المتنبي في كثير من أنواعها كالجناس المستوفى: أن يتوفر في أحد لفظين جميع حروف اللفظ الآخر مثل قوله:

أبُو شجاعٍ أبُو الشجْعَان قَاطبةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الهيجاء أهوال([1])

وقوله:

فلا تعجبا إن السيوفَ كثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحد([2])

حيث جانس بين السيوف، وهي جمع سيف، وسيف الدولة وهو اسم إنسان.

والجناس التام أو المطلق، وهو التشابه في عدد الحروف وترتيبها وهيئاتها كقوله:

يؤمم ذا **السيف** آماله ولا يفعل **السيف** أفعاله([3])

وقوله:

بعضد الدولة امتنعت وعزّت وليس لغير ذي **عضد** يدان([4])

وقوله:

لك يا **منازل** في القلوب **منازل** أفقرت أنت وهن منك أواهل([5])

حيث جانس بين منازل التي مرادف بيوت، ومنازل التي تعني الرتبة والمقام.

والجناس الناقص، وهو التشابه في بعض الحروف كقوله:

المشرفيّة لا زالت **مشرفة** دواء كل كريم أوهي الوجع([6])

وقوله:

يا من **ألوذ** به فيما أؤمله يا من **أعوذ** به مما أحاذره([7])

والجناس المشتق، وهو أن تكون إحدى الكلمتين مشتقة من الأخرى كقوله:

([1]) العرف الطيب، م2، ص371.
([2]) المصدر نفسه، ص101.
([3]) المصدر نفسه، ص70.
([4]) المصدر نفسه، ص455.
([5]) المصدر نفسه، م1، ص348.
([6]) المصدر نفسه، م2، ص90.
([7]) المصدر نفسه، م1، ص136.

ورب مريد ضرّه ضر نفسه **وهاد** إليه الجيش **أهدى** وما **هدى**([1])

ومثل ذلك قوله:

إن **برقـي** إذا **برقـتَ** فعـالي **وصليـلي** إذا **صـللتَ** ارتجازي([2])

ب- الطباق

الطباق أسلوب من أساليب التضاد البلاغية، ويتمثل في الجمع بين لفظين متقابلين في البيت الواحد بحيث يكون الأول عكس الآخر مثل الضحك والبكاء، أو السرور والغضب، أو الحياة والموت وما إلى ذلك.

ويعتبر من أهم أساليب الأداء في الشعر العربي، وقد اهتم به النقاد والبلاغيون كثيرا؛ لأنه يمثل الازدواجية التي تتسم بها الحياة والكون، كما قال تعالى:(ومن كل خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)([3]) وهي ازدواجية نراها في كل شيء تقريبا كالازدواجية بين الحياة والموت، بين الوجود والعدم، وبين الصحة والمرض، وبين المحاسن والعيوب وما إلى ذلك ، وهي من ناحية أخرى فكرة فلسفية طالما اهتم بها الفلاسفة بصفة عامة، كما هي أصل من أصول الفلسفة الجمالية في الشعر العربي.

ويؤكد ابن المعتز أن المراد بالطباق هو ذكر الشيء وضده وكونهما على حذو واحد، وأن فكرة التضاد عنده تقوم على ناحية جمالية أساسها التعادل في العبارة، والتوازن بين جميع أجزاء الجملة([4]).

وقد لجأ أبو الطيب إلى هذا الأسلوب كثيرا في مدائحه حتى أصبح خاصية من خصائص مدائحه، وقد استعملها بأساليب مختلفة منها السلس كقوله:

إذا أنت أكرمت **الكريم** ملكته وإن أنت أكرمت **اللئيم** تمردا([5])

([1]) المصدر نفسه، ص179.

([2]) المصدر نفسه، ص391.

([3]) القرآن الكريم، الذريات، الآية : 49.

([4]) راجع عبده بدوي، **أبو تمام وقضية التجديد في الشعر**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م) ، ص203.

([5]) العرف الطيب، م2، مصدر سابق، ص183.

حيث قابل بين الكريم / واللئيم، وبين ملكته/ وتمردا.
وقوله في سيف الدولة:
ولا زالت الأعياد لبسك بعده تسلم **مخروقا**، وتعطى **مجدّدا**([1])
حيث طابق في السطر الواحد صفتين مخروقا / و مجددا، وفعلين تسلم / وتعطى.

وفي بعض الأحيان يأتي بالطباق بواسطة أدوات النفي، كما في قوله:
فسار به من **لا يسير** مشمرا **وغنّى** به من لا **يغنّـني** مغرّدا([2])
حيث قابل بين سار / و لا يسير، وغنّى/ و لا يغنّي.
وفي بعض الأحيان يأتي طباقه معقدا، يبعد المعنى، ويدخل الوهم في ذهن القارئ، كما في قوله:
وما **قربت** أشباه قوم أباعد ولا **بعدت** أشباه قوم أقارب([3])
حيث قابل بين ما قربت / و لا بعدت، أقارب / وأباعد، وقد عقد المعنى فاختلف شراح الديوان في معنى البيت.

وقوله:
هو **الشجاع** يعد البخل من **جبن** وهو الجواد يعد الجبن من بخل([4])
وأمثال ذلك كثيرة في الديوان، أكثر من أن يحصى.

ج- الترديد:

الترديد هو إعادة اللفظ نفسه، دون اختلاف في المعنى، وبذلك يختلف عن التجنيس، وقد يستعمل مع المشتقات كأن يستعمل الشاعر من الكلمة اسما، واسم فاعل، ومصدرين وفعلا، وله أثر كبير في الجرس الموسيقي للشعر، وقد أكثر المتنبي منه في مدائحه إلى جانب الجناس.

([1]) المصدر نفسه ، ص182.
([2]) المصدر نفسه، ص184.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص427.
([4]) المصدر نفسه، م2، ص36.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في سيف الدولة:

فكان **أحسن** خلق الله كلهم وكان **أحسن** ما في **الأحسن** الشيم([1])

وقوله:

وإن كان **ذنبي** كل **ذنب** فإنه محا **الذنب** كل المحو من جاء تائبا([2])

وقد يستعمل الترديد من جهة أخرى للتوكيد والمبالغة، كما في قوله:

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق([3])

وفي بعض الأحيان أيضا يبالغ في لعبه بالكلمات فيخفى المعنى، ويسيء التركيب بتقارب المخارج وبالتكرار، كما في قوله:

ولا **الضعف** حتى يبلغ **الضعف ضعفه**

ولا **ضعف ضعف الضعف** بل مثله ألف([4])

حيث كرر اللفظ الواحد ستّ مرات في البيت، وقوله:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل([5])

ولعله في ذلك كان يقلد أهل التصنع، فاستمع إلى أحدهم يقول:

لو **كنت كنت** كتمت الحب **كنت** كما

كنا نكون ولكن ذاك لم **يكن([6])**

فما رأيك في هذه الكنكنة، وتلك القلقلة والضعفة؟

وقد استعمل المتنبي إلى جانب تلك الصور، بعض الصور البلاغية القديمة، ولكنه صبغها بصبغة خاصة، وأضفى إليها من شخصيته وقوته، ومنها:

التشبيه، مثل قوله:

وقفت وما للموتِ شكّ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائم([7])

([1]) المصدر نفسه، ص119.
([2]) المصدر نفسه، ص128.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص124.
([4]) المصدر نفسه، ص243.
([5]) المصدر نفسه، ص134. قلقله حركه. وقلاقل العيس الإبل خفافها.
([6]) ذكره توفيق على الفيل، مصدر سابق، ص27.
([7]) المصدر نفسه ، م2، ص206.

وقوله:

أرى كل ذي ملك إليك مصيره كأنك بحْـرٌ والملوك جَـدَاول([1])

وقوله في وصف سيفه:

كأنك على الجماجـم منه نارا وأيدي القـوم أجنحة الفــراش

كأنك جواري المهجات مـــاء يعاودها المهنّد مـــن عطــاش([2])

يقول في البيت الأول يصف سيفه كأنه نار تحـرق الجماجم لشدة ضربه إياها، وكأن أيدي القوم المقطعة حوله أجنحة الفراش التي تطير إلى النار فتحترق. وفي البيت الثاني شبه ما يجري من دماء قلوب أعدائه بالماء وجعل سيفه يعاوده مرة أخرى كالعطشان يعاود الماء.

وفي بعض الأحيان يعقد التشبيه تعقيدا يكاد يغمضه، كقوله:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمـ ـس ولكـن كالشمس ِفي الإشـراق([3])

ومنها **حسن التقسيم**، كقوله في مدح علي بن إبراهيم التنوخي:

وإنما الناس بالملوك ومـــا تفلح عرب ملوكهم عجم

لا أدب عندهـم ولا حسب ولا عهود لهـــم ولا ذمم([4])

وقوله:

إن الكـــذاب الذي أكـــاد بـــه أهـــون عندي من الذي نقله

فلا مبـــال ولا مـــــداج ولا وان ولا عـــاجز ولا تكـــله([5])

ومنها أيضا **الاستعارة**، مثل قوله:

ولا زالت الأعياد لبسك بعده تسلم مخروقا وتعطى مجددا([6])

([1]) المصدر نفسه ، ص190.

([2]) المصدر نفسه، م1، ص448.

([3]) المصدر نفسه، ص444. أي أن قوله في فعل الممـــدوح الذي هـو كالشمس ليس كالشمس أيضا فيكون كفؤا له ولكنه بالنسبة إلى إشراقها فإنه أوسع من جرمها بأضعاف كثيرة. يشبه قولــه بنفس الشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات. ويروى في الشمس كالإشراق أي أن قوله لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة ولكنه يدل عليه فيكون بمنزلة الإشراق من الشمس. (راجع شرح اليازجي)

([4]) المصدر نفسه، ص219.

([5]) المصدر نفسه، ص457.

([6]) المصدر نفسه، ص182.

وقوله:

أيفطمه التوراب قبل بلوغه ويأكله قبل البلوغ على الأكل([1])

وهي استعارات حسنة، وجميلة تعطي شعره بهاء وجمالا، ولكنه يفرط فيها في بعض الأحيان فتأتي معقدة، وذلك مما عاب النقاد عليه. فاستمع إلى مثل قوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب([2])

حيث جعل للطيب والبيض قلبا.

وقوله:

تجمعتْ فِي فُـؤَادِهِ هِمَـمٌ مِـلءُ فُـؤَادِ الـزَّمـَانِ إِحْـدَاهَا([3])

حيث جعل للزمان فؤادا.

ومنها **البراعة في الوصف،** كما في قوله في وصف الجيش الرومي:

إذا برقوا لـــم تعرف البيض منهـم ثيابهـم مـــن مثـلها والعمائـــم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمــازم

تجـمع فيــه كــل لســـن و أمـــــة فما يفهـم الحدّاث إلاّ التـــراجم([4])

هذه أهم الخصائص اللفظية في مدائح أبي الطيب المتنبي، وقد كان لتلك القصائد إلى جانبها خصائص معنوية لا تقل أهمية عنها، وهي التي سنتناولها الآن.

الفصل الثالث: الخصائص المعنوية

تميزت مدائح أبي الطيب المتنبي إلى جانب الخصائص اللفظية بخصائص أخرى معنوية؛ وهي جانب مهم من شعره إن لم تكن أهم جزء منه. فقد اهتم المتنبي بمعانيه اهتماما بالغا، ولخص فيها فلسفته في الحياة، إلى جانب المثل العربية العليا من الكرامة والشجاعة والعظمة وما إلى ذلك.

([1]) المصدر نفسه، م2، ص44.

([2]) المصدر نفسه، 283.

([3]) المصدر نفسه، ص449.

([4]) راجع المصدر نفسه، ص205.

ولكن ذلك لم يمنعه من اللجوء إلى المعاني القديمة، وإدخالها في لباس حديث جديد يجعلنا نتخيل أنها جديدة، كما يقول أحمد أمين :« *ترى القوة تشع في جوانب أساليبه وقوافيه فإذا اشترك المتنبي وغيره من الشعراء في معنى من المعاني رأيت أبيات المتنبي غالبا أقوى أسلوبا وأجزل لفظا، وأقوى قافية وأمتن تركيبا، لأنه يسبغ عليها من قوته ويزيد في شدتها وحدتها من شدته وحدته ـ حتى لقد يقول المألوف والفكر الشائع الذي توارد عليه الشعراء في كل العصور فيخلع عليه المتنبي بعض نفسه وقطعة من حسه فكأنما هو جديد وكأنه لم يسبق إليه*».([1])

وذلك لأن المتنبي يضفي على معانيه شخصيته، فتبدو قوية عظيمة كما قويت شخصيته.

ومن ناحية أخرى ابتكر المتنبي بعض المعاني وتفرد بها، وهي معان تتميز في كثير من الأحيان بالجودة في الأسلوب، والتعبير الدقيق؛ يقول ناصيف اليازجي في هذا الشعر :« *بل هو في غالب حاله غاية الغايات في استحكام التأليف وبداهة التعبير وجودة السبك ووضوح المراد، قد كسته الفصاحة زخرفها، وألقى عليه البيان نوره، فتسابقت معانيه إلى الأفهام، وعلقت ألفاظه بالخواطر والأوهام، واستوى في إنشاده الخاصي والعامي، والتقى على إحسانه العالم والأمي*».([2])

فإنه وإن كان من الأدباء من تعصب عليه، فلا يرى له حسنة فإن أغلبهم يوافقون على إحسانه في سبك المعاني، وابتكاراته فيها؛ ولعله كان هو بنفسه أول من تعجب بهذا الشعر، وبتلك المعاني، فقال:

وما قلتُ منْ شِعْرٍ تكـادُ بُـيُوتُـهُ إذا كُتبتْ يَبـيَضّ من نُورهَا الحبرُ
كأنَّ المعاني في فصاحة لفظِهَا نجوم الثرَيّا أو خلائقُك الزُّهـرُ([3])

([1]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص22- 23.
([2]) العرف الطيب، م1، ص45.
([3]) المصدر نفسه، ص374.

وتلك القلائد ليست أفراد أبيات في الديوان، بل هي كثيرة فيه، أكثر من أن تحصى في هذا الفصل. ولعل ذلك يرجع إلى سعة خيال المتنبي، وحدة ذكائه، وسعة اطلاعه وتفكيره، ومن تلك المعاني قوله:

خيرُ أعضائِنا الرُّؤوسُ ولــكــن   فضلــتها بــقصـــدك الأقْــدَامُ
قد لعمري أقصرت عنك وللوفــ   ـدِ ازدحــامُ وللعــطايا ازْدِحَـامُ
خفتُ إن صرتُ في يمينك أن تأ   خُذني فِـي هِــبَاتِكَ الأقــوام(1)

حيث جعل الأقدام خير أعضاء الجسم لأنها هي التي تسعى إلى الممدوح، وجعل سبب تأخره عن زيارته خوفه من أن يجعله الممدوح من ضمن الهبات لأنه يهب كل ما يملك.

وقوله:

بعثوا الرعبَ في قلوب الأعـــا   دي فكَــان القتالُ قبل التلاقــي
وتكـاد الظــبى لما عــوّدوهـــا   تَـنْـتَـضِي نفسـها إلى الأعـناق(2)

حيث يقول إن الجند خوّفوا الأعداء قبل وصولهم إليهم، فأضعفهم ذلك كأنهم قاتلوهم قبل الحرب. ويقول في سيوفهم أنها تكاد تستل نفسها وتضرب الأعناق، لما عوّدوها ضرب الأعناق.

وقوله:

أزورهم وسوادُ الليل يَشفع لي   وأنثني وبياضُ الصبحِ يُغْري بِي(3)

وقوله:

وما الجَمْعُ بين الماء والنار في يدي   بأصعب مِنْ أن أجمعَ الجِدَ والفهما(4)

وقوله:

ومن ينفق الساعات في جمع مَالِهِ   مخافة فقــرٍ فالذي فعَــلَ الفقـــر(5)

---

(1) المصدر نفسه، ص330.
(2) المصدر نفسه، ص443. الظبى ج ظبة، وهي حد السيف. وتنتضي تستل.
(3) المصدر نفسه، م2، ص307.
(4) المصدر نفسه، م1، ص347.
(5) المصدر نفسه، ص370.

وقوله:

ذُكِرَ الأنام لنـــا فكـــان قصيـــدة كُـنْتَ البديـــعَ الفـــردَ مـن أبياتـها([1])

ومثل ذلك كثير، لا تخلو منه قصيدة من قصائده المدحية تقريبا.([2])

وله إلى جانب ذلك معان كثيرة اشتركها مع غيره من الشعراء، وخاصة أبا تمام. ولذا اتّهِمَ بالسرقة فيها، وأثارت القضية ضجيجا كبيرا في تاريخ الشعر العربي، فانقسم النقاد بين مؤيد له ومتعصب عليه. وأكبر ظننا أن أكثر هذه المعاني كانت من توارد الخواطر. وذلك ما قاله أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحتري عندما ادعى عليه السرقة:

والشعر ظهرُ طريقٍ أنتَ راكبه فمـنه منشغـب أو غير منشغـب

وربما ضم بيـن الركـب منهجه وألصق الطنب العالي على الطنب([3])

وقد ذكر القاضي الجرجاني أمثلة كثيرة فيما يتعلق بمعانيه المشتركة، وإليك أمثلة منها:

قال أبو تمام:

ومهما تكن من وقعة بعد لا تكن سوى حسن مما فعلت مـــردّد

فقال أبو الطيب:

أجزني إذا أنْشِدْتَ شعرًا فإنما بشعري أتاك المادحون مُردّدا([4])

قال البحتري:

متسرعين إلى الحتوف كأنها وفر بأرض عدوهم يتنهب

وقال المتنبي:

بكل أشْعَثَ يلقي الموتَ مُبتسما حتى كأن له في قتلِهِ أربـــا([5])

([1]) المصدر نفسه، ص368.

([2]) راجع الوساطة، مصدر سابق، ص162 وما بعدها؛ والعرف الطيب، مصدر سابق، ص45 وما بعدها.

([3]) ذكره صاحب الوساطة، المصدر نفسه، ص215.

([4]) العرف الطيب، م2، مصدر سابق، ص184.

([5]) المصدر نفسه، م1، ص230.

قال أبو نواس:

وإن جرت الألفاظ يوما بمدْحَةٍ لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

وقال أبو الطيب:

وظنونـــي مدحتُـهم قديـما وأنتَ بما مدحتُهم مُـرادي([1])

ومثل ذلك كثير. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن المعاني المشتركة لم ينج منها شاعر، وأنها لا تنقص من شاعرية الشاعر شيئا إلا إذا كانت سرقة متعمدة، ولا أظن أن المتنبي كان يتعمد السرقة في كل هذه المعاني.

وهذا، وقد تتسم مدائح المتنبي بخصائص معنوية أشهرها: القوة والعظمة، الحكم والأمثال، وكذلك المبالغة والغموض.

المبحث الأول: القوة والعظمة

إن من أهم خصائص معاني المتنبي القوة والعظمة، فمعانيه قوية كما قويت ألفاظه لأنه يرى القوة في كل شيء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولا يمدح أحدا إلا ويضفي عليه تلك القوة، والمثل العليا التي آمن بها إيمانا راسخا؛ وأكثر ما تبدو تلك القوة حين يفتخر بنفسه في المدائح، كما في قوله:

ومرهف سرت بين الجحفلين بـــه حتى ضربت وموج الموت يلتطم

الخيل والليل والبيـداء تعـرفـــني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت في الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب مني القـور والأكـم([2])

والمتنبي حين يمدح ممدوحيه، يذكر شجاعتهم وعظمتهم، وهممهم العالية، ولذا بدت معاني مدائحه كأنها واحدة رغم اختلاف الممدوحين، كلها تتسم بالقوة.

فهو يقول في كافور:

يدل بمعـنى واحـــد كل فاخـر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

([1]) المصدر نفسه، ص213.

([2]) العرف الطيب، م2، ص121. القور ج قارة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء. والأكم ج أكمة وهي الجبل الصغير.

إذا كسب الناس المعالي بالندى　　فإنّك تعطي في نداك المعاليا([1])

ويقول في سيف الدولة:

تعرض سيف الدولة الدهر َكلـه　　يطبق في أوصالــه ويُصمـم

فجاز له حتى على الشمس حكمه　　وبان له حتى على البدر ميسَمُ([2])

ويقول في أحمد بن عامر الأنطاكي:

فتى لا يضم القلب همّات قلبه　　ولو ضمّها قلب لما ضمه صدر([3])

وقال في الباشق حين أطلق على سماناة فأخذها:

أمِــنْ كلِّ شيء بلغت المــرادا　　وفـــي كـل شــأو شأوت العبادا

فماذا تركت لمــن لـم يســد　　وماذا تركـت لمـن كـان ســادا([4])

فكل هذه الأبيات رغم اختلاف الممدوحين في الرتبة، ترمي كلها إلى شيء واحد عظمة الممدوح، ومكانته العالية التي لا يستطيع أحد أن يبلغه فيها.

ويدخل في باب القوة والعظمة تغنيه بالبطولة، وذكْره غزوات الممدوحين وانتصاراتهم؛ فقد كان المتنبي شاعر معركة كما كان شاعر مناسبة، يرى الشجاعة مصدر كل مجد، ويرى أن رسالة الشاعر لا تتوقف على ذكر مناقب الملك، ولكن تتعداه إلى الدفاع عن الوطن بالسيف وبالشعـر، ولذلك قيل فيه : « *منذ أيامه الأولى في الشعر، كان المتنبي ذلك الصوت الذي ارتفع ضد المذلة والقهر، وذلك الصوت الذي يرفض الاستكانة والخضوع ويحرض الإنسان على خوض المعركة من أجل كرامته وشرفه*».([5])

([1]) المصدر نفسه، ص299.

([2]) المصدر نفسه، ص75. ميسم : أثر الحسن.

([3]) المصدر نفسه، م1، ص372.

([4]) المصدر نفسه، ص419.

([5]) " أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف"، مصدر سابق، ص65.

وعلى هذا الأساس نراه كلما مدح ملكا أو أميرا مدحه بالشجاعة والإقدام، ونرى أكثر قصائده في سيف الدولة تلك التي يصف فيها معاركه، وهي ملحميات في غاية الجودة تجاري ملحميات عنترة بن شداد أو تفوقها.

فاستمع إليه وهو يمدح أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة:

ولا يتلــقى الحـــرب إلا بمهــجـة | معـظمة مــذخـورة للعـظائـــم([1])
وذي لجـــب لا ذو الجناح أمامــه | بناج ولا الــوحش المــثار بسالــم([2])
تمر عليه الشمس وهـــي ضعيفـــة | تطالعه مــن بيــن ريش القشاعــم([3])
إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة | تدوّر فوق البيض مثــل الدراهـــم([4])
ويخفى عليك الرعد والبرق فوقـه | مــن اللمــع في حافاته والهماهـــم([5])
أرى دون ما بيــن الفرات وبرقـة | ضِرابا يُمشّي الخيل فوق الجماجم([6])

فما رأيك في هذا الرجل الذي يستقبل الحرب بنفس عظيمة ، تستعد لجميع الأمور العظام، وبجيشه العرمرم الذي لا ينجو طائر مر أمامه، ولا تستطيع الشمس أن تبدي ضوءها إلا من خلال أجنحة النسور لكثرة القتلى، ذلك الجيش الذي يمنع بريق الأسلحة فيه لمع البرق عن الظهور، وتمنع أصوات الصدور عن أن يُسمع صوت الرعد!!!

وهذه المعاني، أو ما يشابهها تتكرر في جميع مدائحه تقريبا، سواء في وصف الحروب أو المناسبات الأخرى، لأنه يؤمن بالشجاعة كمبنى كل مكرمة، ولأنه جريء مقدام، إن صح ما قاله في نفسه، ولا يرى الكريم الماجد إلا الشجاع المِكَرّ ، كما يقول:

تمــرست بالآفـــاق حتى تركتـــها | تقول أمات الموت أم ذعر الذعــر([7])

([1]) المهجة النفس. والعظائم الأمور العظيمة.
([2]) اللجب اختلاط الأصوات أي بجيش ذي لجب. والمثار الذي أثاره الخوف من مكمنه.
([3]) القشاعم النسور.
([4]) الفرجة الخلل. البيض، بفتح الباء، جمع بيضة وهي الخوذة من الحديد
([5]) حافاته جوانبه، والهماهم ج همهمة وهي الصوت يردد في الصدر.
([6]) العرف الطيب، م1، ص405 – ص406. الفرات النهر المعروف، برقة قرية في العراق.
([7]) تمرس به تحككه. الذعر الخوف

وأقـدمت إقـدام الأبــي كــأن لـــي سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر([1])
ذر النفـس تأخذ وسعها قبل بـينها فمـفتـــرق جــاران دارهما العمـر([2])
ولا تحسـبن المجــد زقّـــا وقينــة فما المجد إلاّ السيف والفتكة البكـر([3])
وتضريب أعناق الملوك وأن تـرى لك الهبوات السود والعسكر المجـر([4])
وتركك فــي الدنـيا دويّــا كأنّـــما تداول سمــع المـرء أنملـه العشـــر([5])

هذه فكرة المتنبي في الحياة يرى أن يرتقي الإنسان إلى المعالي بالمخاطرة والمغامرة دون تراجع ما دام على قيد الحياة، أما شرب الخمر ومداعبة النساء فليسا من المجد في شيء.

وعلى هذا قال الشريف الرضى في المفاضلة بينه وبين أبي تمام والبحتري : « *أما أبو تمام فخطيب منبر، وأما البحتري فواصف جؤذر ، وأما أبو الطيب فقائد عسكر*».([6])

ويردف غيره قائلا:« *من كثرة ما يقرأ القارئ عن السيوف والمعارك والخيل في قصائد المتنبي يكاد يخيل له، لو قام بقراءة سطحية غير واعية، أن عقل المتنبي كان مقبض سيفه، أو في حوافر جواد سيف الدولة*».([7])

* * *

إلى جانب هذه المعاني البطولية، أكثر المتنبي من إرسال الحكمة في شعره حتى ليتخيل قارئ الديوان أنه أمام شاعر حكيم أو حكيم شاعر.

المبحث الثاني: الحكم والأمثال

([1]) الأتي السيل يأتي من مكان بعيد. والوتر الثأر

([2]) ذر: دع. الوسع الجدة والطاقة.الجاران يقصد منهما الروح والبدن. يقول : دع نفسك تأخذ ما يمكنها أخذه من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد (راجع شرح اليازجي)

([3]) الزق السقاء يجعل فيه الخمر. القينة الجارية . الفتكة المرة من الفتك وهو البطش والاغتيال.

([4]) الهبوات الغبرات. والمجر الكثير.

([5]) الدوي صوت الريح. الأنمل رؤوس الأصابع. راجع المصدر نفسه، 369 وما بعدها.

([6]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص66.

([7]) " أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف" ، مصدر سابق، ص89.

قد أكثر أبو الطيب من إرسال الحكم والأمثال في قصائده حتى لا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو منها. فحينا يستهل بها القصيدة، كما في قوله يمدح أبا الحسين علي بن أحمد الخراساني:

لا افتخارٌ إلاّ لمن لا يضام   مدركٍ أو محاربٍ لا ينام
ليس عزما ما مرض المرء فيه   ليس همّا ما عاق عنه الظلام[1]

وحينا يختم بها القصيدة، كقوله في آخر قصيدة مدح بها كافورا:

أتم سعدك من أعطاك أوله   ولا استرد حياة منك معطيها[2]

وأحيانا يخلل بها القصيدة ، كما في قوله في قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام[3]

وهذه الأبيات كثيرة في الديوان، ولعلنا لا نجد في أي ديوان آخر ما نجد في ديوانه من الحكمة والأمثال. ولعله سيد هذا الفن، إن جاز التعبير، يقول شكيب ارسلان يقارنه مع غيره من الشعراء : « *وقد فاقه أبو تمام في الرثاء وربما في المديح، وعلا عليه أبو العتاهية في الزهد، وأبو نواس في المجون والحاجري في الغزل والبهاء زهير في الرقة وابن سهل الاشبيلي في دماثة العشق، ولكن الحكمة هي المملكة التي أبت أن تعطي لغير أبي الطيب قيادها، فجميع الشعراء هناك سائرون تحت لوائه يقال لكل واحد منهم: اطرق كرى. ويقال ذلك بحق*»[4].

وقد نبغت هذه الحكم من تجربته في الحياة، وتفكيره الواسع ، : « *وكانت الحكمة بالنسبة له خلاصة تجربة مر بها، ومن خلال التحامه بالحياة، من ذلك الالتحام*

---

(1) العرف الطيب، م1، ص326.
(2) المصدر نفسه، م2، ص322.
(3)المصدر نفسه، ص14.
(4) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص74. ذكره في مقاله حول " المتنبي بين محاسنه ومباذله".

الذي ربما لم يمر به شاعر من قبل، انطلقت حكم المتنبي في مختلف قصائده، كما تنطلق الكهرباء...من مساقط المياه».([1])

وقد تميزت حكمته إلى جانب الغزارة بالتعبير الدقيق، والتصوير الرائع كما قال حنا الفاخوري:« *فاق شعراء الحكم جميعا في الجمع بين القوة والإيجاز والإحكام، فجاءت أبياته عذبة بليغة، تنبض حياة وقوة وتشمل آفاقا شاسعة ومعرفة عميقة للنفس الإنسانية*».([2])

هذا، ولم تأت حكم المتنبي في مدائحه بدون قصد، بل جاء بها في كثير من الأحيان مستشهدا بها لتأييد حالته أو فلسفته ومواقفه في الحياة، كما في قوله:

لا تلق دهرك إلا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحـــزن([3])

وهذه الفلسفة هي فلسفة القوة التي تميز حياة المتنبي، والتي تمنعه من اليأس والتراجع مهما كثرت النوائب واشتدت؛ ولذا يطلب من كل إنسان يقتفي آثاره أن لا ييأس ما دام على قيد الحياة، لأنه لا فرح يدوم في الحياة ولا ألم؛ فالأيام دول من سره زمن ساءته أزمان.

وأكثر ما أرسل المتنبي الحكمة عندما يفتخر بنفسه، أو في شعره الوجداني الغنائي الذي يعكس ألمه، وتقلبات الدهر عليه. وقد يأتي بالحكمة أيضا لتأييد صفات ممدوحيه، وتبرير مواقفهم وتصرفاتهم، كقوله في سيف الدولة:

رأيتك محض الحلم في محض قدرة
ولو شئت كـان الحلـم منـك المهنـــدا

([1]) " أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف" ، مصدر سابق، ص85.
([2]) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص629.
([3]) العرف الطيب، م2، مصدر سابق، ص343.

ومـا قـتل الأحـرار كالعـفو عنهـم
ومـن لك بالحـر الذي يحفـظ اليـدا
إذا أنـت أكـرمـت الكريـم ملكـته
وإن أنـت أكـرمـت اللـئيم تمـردا
ووضع الندى في موقف السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى([1])

حيث حاول تأكيد حسن معاملة الممدوح مع الناس، لأنه يؤدي لكل ما يستحقه: يجزي المحسن، ويعاقب المسيء، والخطأ في ذلك كمعاقبة المحسن أو جزاء الظالم يؤدي إلى خلل في النظام، وفساد في المجتمع. ويعفو الحر إذا تطلبت الأمور ذلك، واللئيم لا يعفى لأنه يثور.

ومن جهة أخرى ذهب المتنبي بالحكمة مذاهب مختلفة، حينا يذكرها في عدة أبيات كأنه في قصيدة في الحكمة، كما في المثال السابق. وحينا يذكرها في أبيات متفرقة داخل القصيدة. كما نجد ذلك في قصيدة يمدح بها كافور، ومطلعها:

أود مـن الأيـام مـا لا تـوده وأشكو إليـها بيـننـا وهي جنده([2])

وحينا يذكر الحكمة في سطر واحد يعلل بها السطر الآخر، كما في قوله:

قـواصد كافـور تـوارك غيـره ومن قصد البحر استقل السواقيا([3])

أمّا موضوعات حكمه داخل المدائح فقد جاءت متفرقة يتناول فيها جوانب مختلفة من الحياة، ولكن من أشهرها:

الشجاعة والعقل: فهو يراهما شيئين متكاملين لبناء العظمة، كما في قوله:

الرأي قبل شجاعـة الشجعان هـو أوّل وهي المحـل الثاني
فإذا هـما اجتمعا لنفس حـرّة بلغت مـن العليـاء كل مكـان([4])

([1]) المصدر نفسه، ص183.
([2]) العرف الطيب، م2، ص313 وما بعدها.
([3]) المصدر نفسه، ص297.
([4]) المصدر نفسه، ص251 – ص252.

وقوله:

ولـو انّ الحـياة تـبقى لحَـيٍّ لعـددنـا أضلنـا الشجعـانـا

وإذا لـم تكـن مـن الموت بـد فمن العجز أن تموت جبـانـا[1]

المجد والعزة، كقوله:

فلا ينحلل في المجد ما لك كله فينحل مجد كـان بالمال عقـده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده[2]

وقوله:

فلا تحسبن المجـد زقّـا وقينة فما المجد إلاّ السيف والفتكة البكر[3]

الألم والسرور: كقوله:

فقـلت لكـل حي يـوم سـوء وإن حرص النفوس على الفلاح[4]

وقوله:

كـلما أنـبت الزمـان قنـاة ركب المرء في القنـاة سنـانـا[5]

الموت والحياة، كقوله:

نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتـهم الدنـيا فلـم يتفرقـوا

أين الأكاسرة الجبابـرة الألـى كنزوا الكـنوز فما بقين وما بقوا[6]

وقوله:

فالموت تعرف بالصفات طباعه لم تلق خلقا ذاق مـوتـا آئـبـا[7]

ذم الدهر والناس: كما في قوله:

ومن عرف الأيام معـرفتي بـها وبالناس روّى رمحه غير راحم[8]

وقوله:

([1]) المصدر نفسه، ص 347.
([2]) المصدر نفسه، ص315.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص370.
([4]) المصدر نفسه، ص453.
([5]) المصدر نفسه، م2، ص347.
([6]) المصدر نفسه، م1، ص125.
([7]) المصدر نفسه، ص246.
([8]) المصدر نفسه، ص404.

ودهـر نــاسه نــاس صـــغار وإن كـانت لهـم جثــث ضخـام
أرانب غيــر أنـــهم ملـــوك مـفتحـــة عيــونهـــم نيـــام[1]

المعاملات، مثل قوله:

وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العــز طيــب[2]

وقوله:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمـن بــات فـي نعـمائه يـتـقلب[3]

وقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصـــدق مـا يعـتاده مــن توهــم[4]

وقوله:

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له إذا لم يكـن في فعلــه والخلائــق[5]

وله أيضا في مدائحه حكم في موضوعات أخرى تمس جميع جوانب الحياة تقريبا، فراجع الديوان تجدها متوفرة تروي ظمأك فيها.

وإلى جانب الحكم والأمثال اتسمت مدائح المتنبي بخصائص أخرى منها المبالغة والغموض.

المبحث الثالث: المبالغة والغموض

I. المبالغة:

---

(1) المصدر نفسه، ص231.
(2) المصدر نفسه، ص339.
(3) المصدر نفسه، م2، ص340.
(4) المصدر نفسه ، ص324.
(5) المصدر نفسه، ص216.

معنى المبالغة: المبالغة لغة من بالغ يبالغ مبالغة اجتهد في الأمر ولم يقصر([1])، وعند البلغاء اختلف في معناه فقيل فيها أقوال كثيرة منها ما قال محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي الحديث: وهو أن تثبت للشيء وصفا من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره فتبلغ بالمعنى أقصى غاياته([2])، وقيل : هي زيادة المعنى عن التمام،([3]) وهي في رأيي أن يتجاوز المعنى المعقول إلى ما يصعب تحقيقه أو احتمال وجوده.

وقد اشتهرت المبالغة في العصر العباسي بفعل احتكاك العرب بالشعوب الأخرى، ودخول آراء جديدة ومذاهب حديثة في الشعر العربي.

وهي على ثلاثة أنواع: التبليغ وهو ما كان ممكنا عقلا وعادة، والإغراب ما كان ممكنا عقلا لا عادة، والغلو ما هو مستحيل عقلا وعادة.

وقد اختلف النقاد والأدباء في المبالغة، فمنهم من يؤيدونها ويستحسنونها، ويعتبرونها مما يضفي على الشعر جودة، وهؤلاء هم الذين يقولون :(أحسن الشعر أكذبه)، ومنهم قدامة بن جعفر الذي يقول في مقارنة المذهبين : «*الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر، والشعراء قديما. لأن من ذهب إلى الغلو إنما أراد به المبالغة والغلو بما يخرج عن الوجود، ويدخل في باب المعدوم، يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت، وهذا أحسن من المذهب الآخر...*» .([4])

ومنهم من يستهجنونها، ويعتبرونها أقبح الشعر، وهؤلاء هم الذين يقولون:(خير الشعر أصدقه) ، وأكثر هؤلاء هم الذين تأثروا بصفة مباشرة بالتعاليم الإسلامية، فوزنوا الشعر بميزانها. فهذا حسان بن ثابت يقول:

([1]) المنجد في اللغة والأعلام، مصدر سابق، ص48.

([2]) راجع كتاب جابر عبد الرحمن يحيى، المبالغة في الشعر العربي في العصر العباسي، مصر: مؤسسة سعيد للطباعة، 1986، ص13.

([3]) ذكره محمد بن عبد الله القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ص370.

([4]) المبالغة في الشعر العربي...، مصدر سابق، ص33 / قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص19.

وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا وإن حمقا
لأن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا([1])

ومما لا يدع مجالا للشك أن أبا الطيب المتنبي كان من أنصار المذهب الأول إن لم يكن رائدهم؛ فهو صاحب مبالغة يعمم بها شعره بصفة عامة ومدائحه بصفة خاصة حتى لا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو منها، يقول ابن رشيق في العمدة: «*فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلوا، وأبعدهم فيه همة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتا واحدا...*» ([2])

فاستمع إليه وهو يمدح ابن زريق الطرسوسي:

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عبدت، فصار الناس مجوسا([3])

فهذه المبالغة ما بعدها مبالغة، و غلو ما بعده غلو، بل هي تهاون بالدين وبمعجزاته، فكيف يمنع كون لج البحر مثل يمين الممدوح أن يحقق معجزة من معجزات الله، وكيف يصير الناس مجوسا بكون ضوء النار مثل ضوء جبين الممدوح. معاذ الله!!. فالمبالغة عند المتنبي مذهب أراد أن يطبع بها مدائحه، وأكثر ما بالغ المتنبي في صباه، وحين يمدح الشيعة والمتصوفة، وربما كان لذلك صلة بتأثره بالشيعة والمتصوفة، يقول شوقي ضيف في ذلك : « *على أن هذا الالتجاء لأساليب المتصوفة، وما سبقه من التجائه لأساليب المتشيعة بعث فيه حالا من الغلو والمبالغة في مدح أصحابه*».([4])

([1]) ذكر في المصدر نفسه، ص36، وفي كتاب التلخيص، مصدر سابق، ص370.
([2]) العمدة، ج2، مصدر سابق، ص 63.
([3]) العرف الطيب، م1، مصدر سابق، ص168 وما بعدها.
([4]) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص323.

ولكن مبالغات المتنبي لم تتوقف على مدائحه للمتصوفة والشيعة، بل تظهر في جميع مدائحه تقريبا، حتى حين يفتخر بنفسه داخل القصيدة، فاصغ إليه وهو يقول في قصيدة مدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها
كأني بنى الإسكندر السد من عزمي([1])

وقوله في قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم([2])

هذا، ولم يرد المتنبي أن يكف عن المبالغة حتى في آخر طور من حياته، يقول في عضد الدولة:

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها
فإن أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها([3])

أي أن همه أعظم من أن يضمها قلب الزمان الذي لضيقه لا يستطيع إلا أن يضم واحدة منها، فإن أتت أزمنة أوسع من هذا الزمان أظهرها فيها.

ويقول في ختام القصيدة:

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد اللها([4])

فلا غرو إذا قال شوقي ضيف بعد ذلك :« *وعمم المتنبي هذه المبالغة في شعره، ولم يقف بها عند موضوع خاص، فنحن نراها تتسرب من المدح إلى*

([1]) العرف الطيب، م1، ص201.
([2]) المصدر نفسه، م2، ص120.
([3]) المصدر نفسه، ص449.
([4]) المصدر نفسه، ص451 . ويقصد الناس في خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك ، وغيره من الملوك زور، وهو باقتصاره على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به.

الموضوعات الأخرى من غزل وغير غزل، وكأنها لون جديد يريد أن يوشي به شعره، وأن يطرز به قصائده...» . ([1])

فعلا قد وشّى المتنبي بالمبالغة شعره فأصبحت خاصية من خصائصه، يلجأ إليها كلما مدح ولا يبالي من يرضي ومن يغضب، ولا يبالي هل توافقت مع المعتقدات الإسلامية أم تعدتها، و لعل المتنبي أوشّى على مدائحه، إلى جانب المبالغة، لونا آخر وهو الغموض.

II. الغموض:

فكما كان المتنبي صاحب مبالغة كان صاحب غموض يظهر في جل مدائحه حتى أصبح سمة من سماتها. يقول الأستاذ البرقوقي : « *كما فاق أهل عصره في الجزالة والإفصاح، فاقهم في الغموض والإغراب والتعقيد، فغموض المتنبي بيذ غموض سائر الشعراء كما وكيفا*».([2])

فالمتنبي رغم علو كعبه في البلاغة والإفصاح، قد لجأ إلى الغموض والتعقيد في كثير من الأحيان، وقد أبعد ذلك بعض معاني مدائحه فاختلف الأدباء وشراح الديوان في تأويلها وبيان مقاصدها فيها، يقول نقولا الحداد :« *ولهذا اختلف الشراح في تفسير كثير من الأبيات لشدة إبهامها وغموضها، وربما فسّروا بيتا بمعنى لم يرده المتنبي وبقي مراده الذي جال في ذهنه دفينا معه*».([3])

وهذا الغموض ـ فيما أظن ـ مذهب من مذاهبه في الشعر تعمده حينا، ودفع إليه أحيانا، ويمكن أن يعلل سبب لجوئه إليه بأشياء كثيرة ربما أغرته به، ومنها:

([1]) الفن ومذاهبه...، مصدر سابق، ص324.
([2]) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مصدر سابق، ص99. ذكره في مقاله : الغموض في شعر المتنبي هل كان المتنبي يتعمده؟
([3]) المصدر نفسه، ص104.

- تأثره بمذاهب الصنعة المنتشرة في عصره؛ ولذا نرى الغموض أكثر في مدائحه في صباه عندما كان يقتفي آثار المتصنعين أمثال أبي تمام، ومسلم بن الوليد.
- المبالغة في أساليب الإيجاز، كما يقول ناصيف اليازجي :« *فلم يكن من العجيب مع كثرة معانيه وازدحامها في خاطره، ومع تبحره في اللغة وطول باعه في أساليب المجاز، أن يقع في بعض كلامه إبهام لا يظهر معه المقصود*».([1])
- سعة خياله، وغلوه في التصوير
- محاولته إعلاء معانيه عن السوقية
- محاولة إخفـــاء المعاني التـــي سبق إليـــها، يقول ناصيف اليازجي : « *وربما كان المعنى من مثل ذلك مسبوقا فيحاول أن يبعد به عن أصله ويغير ديباجته بغير لونه فيفسد عليه*».([2])

وقد ظهر الغموض بمظاهر مختلفة في مدائحه، منها استعماله ألفاظا وحشية، كما في قوله:

ألا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى([3])

قيل : الخيزلى مشية من مشي الإبل ، والهيذبى من مشي الخيل

وقوله:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل([4])

وجفخ بمعنى فخر،

ففي كل هذين البيتين أغمض المعنى استعماله الألفاظ الوحشية، فلو استعمل (فخر)، بدلا من (جفخ) لاتضح المعنى.

ومنها التقديم والـتأخير، كما في قوله:

([1]) العرف الطيب، م1، ص59.
([2]) المصدر نفسه، ص40.
([3]) المصدر نفسه، م2، ص401.
([4]) المصدر نفسه، م1، ص354.

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفته ساجمه([1])

وقوله:

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقل جزيء بعضه الرأي أجمع([2])

يقول اليازجي في البيت:« *وقد ركب في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والإبهام ما لا يباح مثله في أساليب الكلام، حتى إنك إذا حللت تركيبه النحوي وجدته باقيا على غموضه، ولا يظهر لك الغرض إلا بعد إطالة النظر وإعنات الروية*».([3])

ومنها استعمال لفظ مشترك، أو كناية أو استعارة بعيدة، أو تشبيه معقد، كقوله:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول([4])

وقوله:

أحاد أو سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي([5])

حيث يقول هذه الليلة كأنها معلقة بالقيامة، وكأنها ليالي الدهر كلها، وأن كل ليلة منها طويلة كأنها ست ليال في ليلة.([6])

ومنها استعماله للألفاظ الغريبة والتراكيب الشاذة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، كما في قوله:

رمى وما رمتا يداه فصابني سهم يعذب والسهام تريح([7])

ومنها تلاعبه بالألفاظ، ومحاولة تجسيد بعض الأفكار الفلسفية، كما في قوله:

وما قربت أشباه قوم أباعد ولا بعدت أشباه قوم أقارب([8])

([1]) المصدر نفسه، م2، ص5.
([2]) المصدر نفسه، م1، ص130.
([3]) المصدر نفسه، م1، ص40.
([4]) المصدر نفسه، م2، ص166.
([5]) المصدر نفسه، م1، ص208. لييلة تصغير ليلة، المنوطة المعلقة ، والتنادي كناية عن القيامة.
([6]) راجع المصدر نفسه، ص208.
([7]) المصدر نفسه، ص181.
([8]) المصدر نفسه، م1، ص427.

وقد حاول اليازجي تلخيص ذلك كله فقال :« *ولكن ما ذكر للمتنبي من خفاء المعنى وغموضها وارد في الغالب من قبيل الإبهام في اللفظ والتعمية في صور التراكيب وإلباس المعنى غير ثوبه الذي تظهر به تقاطيعه وإنزاله في غير منزله الذي يقرع عليه بابه، وهي طريقة له اختطها لنفسه وأكثر التعمل لها والنزوع إليها* ».([1])

الخاتمة:

([1]) المصدر نفسه، ص39.

إثر تتبعي للشاعر أبي الطيب المتنبي في حياته، وفي مدائحه توصلت إلى بعض الاستنتاجات أهمها:

أنه شاعر مميز، ذو شخصية فذة وشعر بارز، وهو أبيّ يعاف الذل والهوان، وطموح يتوق إلى السيادة والمعالي، وذو كبرياء نادرة يعامل الملوك معاملة النظير للنظير، لأن له فلسفة لا يكاد يجحد بها مرة في حياته، وهي فلسفة القوة التي تسربت حتى في شعره، فصار قويا في كل جوانبه.

وإلى جانب ذلك، توصلت إلى أن المتنبي تناول جميع الأغراض الشعرية تقريبا، ولكنه كان مدّاحا قبل كل شيء فطغى المدح على جميع الأغراض الأخرى في شعره، وهو كمن سبقه من الشعراء ربما مدح لتحسين حاله، ولكن أكبر دافع لمدحه هو طلب المعالي، كما صرح به هو نفسه عندما قال لأبي العشائر:

فسِرْتُ إليك فِي طلبِ المَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طلَبِ المَعَاشِ.([1])

ولذا كان أكثر من مدحهم الملوك والأمراء؛ لأنه استعلى على مدح السوقة وعامة الناس.

ومن ناحية أخرى اتسم مدح المتنبي بالقوة رغم اختلاف ممدوحيه، فهو كلما مدح رجلا وصفه بصفات الرجولة الكاملة، وبالمثل العليا من الشجاعة، وعلو الهمة، والجود وما إلى ذلك.

أما أسلوبه في المدح فكان قويا ، متسما بجزالة اللفظ، والرصانة، كما يقول ابن الأثير الجوزي :« *المراد من الشعر إنما إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل اللطيف فمن وجد ذلك فكل مكان خيت فهو بابل، وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس، وأبي عبادة الوليد، وأبي الطيب المتنبي*»([2])

([1]) العرف الطيب، م1، ص452.

([2]) الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، مصدر سابق، ص19.

وهو شاعر مطبوع ، ولكنه يلجأ إلى التصنع أحيانا.

وأما عاطفته، فقد اختلفت حسب الممدوحين فكانت صادقة عند سيف الدولة ، وكاذبة عند كافور، وخياله واسع رحب ، وقد أدى إلى غموض شعره أحيانا.
وأما الخصائص اللفظية التي توصلت إليها فتنقسم إلى خصائص لغوية وأخرى بلاغية، فاللغوية هي كثرة استعماله اسم الإشارة والضمائر، وكذلك ولوعه بالتصغير للتحقير حينا وللتعظيم أحيانا، وأخير اللجوء إلى الأساليب الشاذة ، والغرائب اللغوية لأسباب مختلفة، والخصائص البلاغية هي براعة استهلالاته، وكثرة استخدامه أساليب الإيجاز والتضاد كالجناس والطباق والاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها ، وتعقيده لتلك الأساليب.

وأما الخصائص المعنوية التي وجدتها في مدائحه، فهي تكرر معاني القوة والعظمة، وكذلك الحكم والأمثال، إلى جانب المبالغة حينا والغموض حينا آخر.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع، وهدفي فيه لم يكن أبدا الحكم على المتنبي بالجودة أو الرداءة ، أو تأييد رأي المتعصبين له، أو المعارضين له، ولكنه كان مجرد دراسة موضوعية لما يتسم به مدائحه من الخصائص بغية تمكين الدارسين من معرفة أوسع وأدق للشاعر.

ولا أدعى أبدا الاحتواء على الموضوع فما جئت به ليس إلا مساهمة متواضعة في تعريف الخصائص الفنية والمعنوية من مدائح المتنبي، وليس لي أي فضل في ذلك ، فالفضل كل الفضل لمن فتحوا المجال من شراح الديوان، وكبار الأدباء والنقاد الذين مكّنونا من معرفة المتنبي، وفهم شعره، وكذلك

لأساتذتنا الذين علمونا اللغة والأدب، وأعدّونا للبحث والنقد، و« *إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب* » ([1]).

قائمة المراجع والمصادر بالترتيب الأبجدي

I. المصادر والمراجع العربية

1) **القرآن الكريم** برواية ورش.

([1]) القرآن الكريم، سورة هود، الآية 88.

2) ابن خلكان. **وفيات الأعيـان وأنباء أبنـاء الزمـان**. بيروت: دار الثقافة (بدون طبعة ولا تاريخ).
3) ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، جزآن. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة،(بدون طبعة ولا تاريخ).
4) أبو خشب، إبراهيم علي ، **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني**: دار الفكر العربي، 1975م (بدون طبعة).
5) إسماعيل، عز الدين، نبيلة إبراهيم، أحمد كمال زكي، صلاح عبد الصبور، معين بسيسو، فاروق خورشيد، عبد المنعم شميس، أحمد سعيد محمدية، فاضل السباغي، خليل الهنداوي. **نوابغ العرب،** " أبو الطيب المتنبي القصيدة والسيف". بيروت: دار العودة، (بدون طبعة ولا تاريخ).
6) أحمد أبو حاقة. **فن المديح وتطوّره في الشعر العربي،** الطبعة الأولى. بيروت: منشورات دار الشرق الجديد 1962م.
7) بدوي، عبده . **أبو تمام وقضية التجديد في الشعر**. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
8) بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**،الطبعة الثالثة، الجزء الثالث. مصر: دار المعارف 1974م.
9) الجرجاني، علي عبد العزيز. **الوساطة بين المتنبي وخصومه**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى الحلبي وشركاه (الطبعة والتاريخ بدون).
10) جميل بن معمر. ديوان جميل بثينة. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر2002م.

11) جورج معتوق. المتنبي شاعر الشخصية القوية، الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981م.
12) الحاوي، إيليا. **في النقد والأدب: العصر العباسي وقصائد محللة**،الطبعة الأولى،5 أجزاء . بيروت: دار الكتاب اللبناني 1980م.
13) طه حسين. **مع المتنبي**، الطبعة الحادية عشرة. مصر: دار المعارف 1976م.
14) اليازجي، ناصيف . **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر 1404هـ/1984م.
15) يحيى، جابر عبد الرحمن. **المبالغة في الشعر العربي في العصر العباسي**. مصر: مؤسسة سعيد للطباعة، 1986م
16) **المنجد في اللغة الأعلام**، الطبعة الحادية والعشرون. بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، 1973م.
17) العقاد، عباس محمود، محمد حسين هيكل، أحمد محرم، أحمد أمين، خليل مطران، علي الجازم، زكي المبارك، سامي الكيالي، عيسى اسكندر المعلوف، شقيق الجبري، أنيس مقدسي، شوكت التوني، حسن محمد الهواري، عبد الرحمن صدقي، طاهر الطناحي، شكيب أرسلان، سليم عبد الأحد، محمد محمد توفيق، علي أدهم، محمد مظهر سعيد، البرقوقي، نقولا الحداد. **أبو الطيب المتنبي حياته وشعره**. بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر(بدون طبعة ولا تاريخ).
18) على الفيل، توفيق ." الفصاحة مفهومها وبم تتحقق قيمها الجمالية ". **حوليات كليات الآداب**، جامعة الكويت، الحولية السادسة 1985م.

19) العيسى، سليمان . **موجز الديوان شرح اليازجي**. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (بدون طبعة ولا تاريخ).
20) الفاخوري، حنا. **الجديد في الأدب العربي**. بيروت: مكتبة منشورات المدرسة 1964م.
21) الفاخوري، حنا. **تاريخ الأدب العربي**. المطبعة البوليسية .
22) التبريزي، الخطيب. **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي** . تحقيق: محمد عبده عزّام. مصر: دار المعارف، بدون تاريخ .
23) ضيف، شوقي. **تاريخ الأدب العربي**: العصر العباسي الثاني، الطبعة الرابعة.مصر دار المعارف1981م.
24) ضيف، شوقي. **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، الطبعة التاسعة. مصر: دار المعارف، 1976م.
25) القزويني، محمد بن عبد الله. **التلخيص في علوم البلاغة**، شرح: عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الكتاب العربي.

II. مرجع فرنسي

Encyclopédie de l'Islam ;. Th. Houtsma ; Q.J.Wensink…Tome 3 ; Paris Librairie C. Kuncksieck 1936 ; p 835.

III. مرجع إلكتروني

/www.almeshkat.net ديوان المتنبي بشرح الواحدي/مكتبة المشكاة

فهرس الأعلام حسب الترتيب الأبجدي

- ا -

آدم 90،
أبو الحسن، علي بن أحمد الخراساني 18، 120،
أبو لؤلؤ 14،
أبو نواس 11، 56، 116، 120،
أبو علي بن فورجة 94

أبو علي الفارسي 100،
أبو العتاهية 120،
أبو العشائر 19، 38، 69، 132،
أبو فراس الحمداني 11، 68،
أبو الفضل 13، 106
أبو القاسم مظفر بن علي الطوسي 24،
أبو سفيان 53،
أبو تمام 13، 56، 73، 86، 87، 98، 115، 119، 120، 129، 133،
أبو شجاع فاتك 23، 38، 43،
ابن الأثير الجوزي 132،
ابن جني 4، 94،
ابن دستويه 12،
ابن زريق الطرسوسي 126،
ابن كيغلغ 38، 39،
ابن المعتز 108،
ابن العميد 11، 23، 79،
ابن الفارض 11،
ابن الرومي 56،
ابن رشيق 37، 58، 126،
ابن رائق 18، 19،
ابن سهل الإشبيلي 120،
ابن خالويه 21، 68
ابن خلكان 15، 16، 22،
إبراهيم علي أبو خشب 105،
الأوارجي، أبو علي هارون بن عبد العزيز 17، 97،
أحمد أبو حاقة 50،
أحمد أمين 63، 87، 113،
أحمد بن أبي طاهر 115،
أحمد بن الحسين 97،
أحمد بن عامر الأنطاكي 117،
أحمد محرم 26، 64، 74،
إيليا الحاوي 106،
امرؤ القيس 51،

أنيس مقدسي 93،
الأصفهاني، أبو الفرج 11،
لأخطل 54،أرسطو 30،

- ب -

الببغاء، أبو الفرج 68،
بدر بن عمار 17، 18، 19، 28، 38، 90، 104، 106،
البحتري 13، 73، 87، 115، 116، 119،
بروكلمان، كارل 16،
البرقوقي 4، 128،
بشار بن برد 56،

- ج -

جورج حسن معلوف 74،
جورج عبدو معتوق 39،
جميل بثينة 45، 89،
الجرجاني، القاضي 5، 94، 96، 104، 115،
جرير 39، 54،

- هـ -

الهمذاني 11،
هرم بن سنان 50،

- و -

الواحدي 4، 94،

- ز -

الزاهي 68،
الزبير 54،
زهير بن أبي سلمى 51، 120،

- ح -

الحاجري 120،

حاتم الطائي 50،
الحوارزمي 11،
حنا الفاخوري 13، 14، 30، 37، 74، 92، 121،
حسان بن ثابت 53، 126،
الحسين بن إسحاق التنوخي 127،
الحسن بن عبيد الله بن طغج 118،

- ط -

طه حسين 12، 19، 48، 70، 73، 78، 82،

- ي -

اليازجي، إبراهيم 35، 102،
اليازجي، ناصيف 4، 15، 101، 113، 129، 130، 131،

- ك -

كافور الإخشيدي 7، 17 ، 21، 22، 23، 25، 28، 29، 38، 39، 40، 47، 62، 63، 67، 74، 75، 76، 77، 79، 86، 88، 91، 92، 93، 94، 99، 105، 117، 120، 122، 133،
الكميت الأسدي 54
كعب بن زهير 53،
كثير عزة 89،

- م -

مجنون ليلى 89،
مهياد الديلمي 11،
موسى عليه السلام 126
محمد (ص) 53، 54،
محمد بن إسحاق التنوخي 43،
محمد بن طغج 74،
محمد بن عبيد الله العلوي 14
محمد الحسن بن عبيد الله 19،
محمد مندور 103،

محمد غنيمي هلال 125،
محمد شوكت التوني 77،
المعري، أبو العلاء 5، 11، 35، 94
المعتصم 56،
مسكين الدارمي 54،
مسلم بن الوليد 129، 133،
المتنبي، أبو الطيب 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 56، 57، 60، ى61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 119،117، 120، 121، 122، 124، 126، 127، 128، 131، 132، 133، 134،

- ن -

النابغة الذبياني 51،
النامي 68،
النعمان 51، 52،
نفطويه 12،
نقولا الحداد 94، 128،

- ص -

الصابي 11،
الصاحب بن عباد 5، 100،
صدقي إسماعيل 39، 87، 89،

- ع -

العباس بن الأحنف 89،
عبدان السقاء 12
عبد الله بن يحيى 97،
عبد الله بن رواحة 53،

عبد الرحمن صدقي 66،
عيسى عليه السلام 126،
علي أدهم 84، 90،
علي بن أبي طالب 54،
علي بن إبراهيم التنوخي 106، 111،
عنترة بن شداد 50، 51، 118،
العقاد، عباس محمود 38، 99،
عضد الدولة البويهي 7، 17، 23، 38، 61، 78، 79، 80، 81، 82، 107، 127،
العكبري 4،

- ف -

الفارابي 68،
الفرزدق 39، 54،
فاتك الأسدي 24،

- ض -

ضبة القرمطي 24، 39،

- ق -

قدامة بن جعفر 125،

- س -

سامي الكيالي 65،
سيف الدولة الحمداني 7، 17، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 27، 28، 36، 37، 38، 41، 43، 44، 46، 47، 61، 62، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81، 85، 86، 88، 91، 92، 93، 106، 107، 109، 110، 117، 118، 119، 120، 121، 127، 133،
السري الرفاء 68،
السكري 12،
سليم عبد الأحد 60،

- ت -
توماس هوبس 33،

- خ -
خد نياس 5،
خولة 44،
خليل مطران 36، 75، 88،

- ش -
شوقي ضيف 73، 79، 88، 98، 99، 101، 126، 128،
شكيب أرسلان 120،
شريف الرضا 11، 119،

فهرس الأماكن والبلدان حسب الترتيب الأبجدي

- ا -
أنطاكية 14، 19، 38، 69
إفريقية 10
أرجان 23، 24
إسبانية 10

- ب -

بوّان 46، 80، 81
البحرين 10
البصرة 10
بغداد 10، 14، 23، 81

- ج -

جرجان 10

- د -

دير العاقول 24
دمشق 21

- و -

واسط 10، 24

- ح -

الحدث 37
حلب 10، 19، 21، 68، 69، 75
حمص 14

- ط -

طبرية 17، 46

- ك -

الكوفة 10، 12، 13، 23، 24
كندة 12

- ل -

اللاذقية 14
لبنان 46

- م -

الموصل 10
مكة 53
مصر 10، 22، 23، 33، 46، 47، 48، 62، 64، 70، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81

- ن -

النيل 46

- ص -

الصافية 24

- ع -

العمورية 56
العراق 7، 14، 19، 23، 24، 37، 46، 79

- ف -

فارس 78، 79، 81
الفرات 46

- ر -

الرملة 14، 19، 21

- س -

سورية 10
السماوة 13، 14، 15

- ث -

ثبير 106

- ش -

الشام 7، 13، 14، 16، 17، 19، 68
شيراز 80

فهرس البحث

الموضوع: **الصفحة**

مقدمة 4

الباب الأول : حياة أبي الطيب

المتنبي وشعره..... 9 - 48

الفصل الأول: نشأته وحياته 10

المبحث الأول: خصائص عصره 10

المبحث الثاني: ولادته وصباه..... 12

المبحث الثالث: المتنبي في الشام 13

* ادعاؤه النبوة 15

المبحث الرابع: المتنبي في ظل الأمراء وأرباب السلطان..... 17

المبحث الخامس: مقتله 24

الفصل الثاني: شخصية المتنبي وفلسفته في الحياة 25

المبحث الأول: في شخصيته 25

المبحث الثاني: في فلسفته في الحياة..... 30

الفصل الثالث: أغراض شعره 36

المبحث الأول: شعره 36

المبحث الثاني: أغراض شعره..... 38

الباب الثاني: أبو الطيب

المتنبي المادح.....49 - 83

الفصل الأول: مكانة المدح عند العرب..... 50

المبحث الأول: المدح في العصر الجاهلي 50

المبحث الثاني: المدح في عصر صدر الإسلام..... 52

المبحث الثالث: المدح في العصر الأموي..... 54

المبحث الرابع: المديح في العصر العباسي 55
الفصل الثاني: أسباب ميل المتنبي إلى المدح 58
المبحث الأول: التكسب..... 58
المبحث الثاني: الإمارة والولاية 61
المبحث الثالث: المجد والعظمة 64
الفصل الثالث: أشهر ممدوحي المتنبي 68
المبحث الأول: سيف الدولة الحمداني 68
المبحث الثاني: كافور الإخشيدي 74
المبحث الثالث: عضد الدولة البويهي 78
الباب الثالث: الخصائص الفنية
والمعنوية في مدائح المتنبي....84 - 131
الفصل الأول: الأسلوب والعاطفة والخيال..... 85
المبحث الأول: الأسلوب 85
المبحث الثاني: العاطفة..... 89
المبحث الثالث: الخيال..... 92
الفصل الثاني: الخصائص الفنية..... 96
المبحث الأول: الخصائص اللغوية 96
المبحث الثاني: الطبائع البلاغية 103
الفصل الثالث: الخصائص المعنوية 113
المبحث الأول: القوة والعظمة 116
المبحث الثاني: الحكم والأمثال..... 120

المبحث الثالث: المبالغة والغموض..... 125

خاتمة 132

قائمة المراجع 135

فهرس الأعلام..... 139

فهرس الأماكن والبلدان..... 145

فهرس البحث..... 148